



مذكرة مقدمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة

الماستر

تخصص: (أدب جزائري)

الأنبا والآخر

في رواية مروان

ل: بن يحيى محمد سفيان

مقدمة من قبل:

الطالبة: أسماء رزايقية

الطالبة: أميرة شتيوي

تاريخ المناقشة: 2022/06/14

أمام اللجنة المشكلة من:

الاسم واللقب	الرتبة	مؤسسة الانتماء	الصفة
نادية موات	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	رئيسا
علي طرش	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	مشرفا ومقررا
فوزية براهيمى	أستاذ محاضر "أ"	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	ممتحنا

السنة الجامعية: 2022/2021

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

شكر وتقدير

أول من يشكر ويحمد آناء الليل وأطراف النهار، هو الله الذي لا إله إلا هو العلي القهار، ثم الوالدين نشكرهم لأن الله أمر بذلك ولأنهم أهل للشكر لما يقدمونه للأبناء

وبعد يسعدنا في مستهل هذا العمل أن نتقدم بجزيل الشكر وخالص الامتنان إلى

الأستاذ المرف الدكتور علي طرش

وكذلك أعضاء لجنة المناقشة الموقرة الدكتورة نادية موات، والدكتورة فوزية براهيمى.

المقدمة

الإنسان اجتماعي بطبعه فهو يعيش في مجتمع يدخل في علاقاته مع أفرادهِ ويتعامل مع الآخر، ويكون معه علاقات. تعتبر قضية "الأنا" و "الآخر" وما تثيره العلاقة القائمة بينهما من إشكاليات، من أهم المواضيع التي تطرقت إليها النصوص الروائية، وهي من أهم مباحث علم الصورة المقارن، هذا المجال المعرفي الذي يعني بدراسة صورة الشعوب من خلال الغوص خبايا النصوص الأدبية والشعرية لمعرفة عاداتهم وتقاليدهم، ومعرفة كيف ينظر شعب إلى شعب آخر.

صور لنا الروائيون في أعمالهم الأدبية هذا الصراع القائم بين الشرق والغرب فهناك من يرى ان هذا الآخر عدو لدود، ورفع الستار لرؤية بشاعة ونذالة المجتمع الغربي بسبب القمع والتهميش الذي مارسه، حيث رفضوه، ورفضوا كل ما يتعلق به، أمّا الفئة الأخرى فهي معجبة ومنبهرة من التطورات التي توصل إليها ذلك المجتمع الغربي، وحاولوا الاستفادة من علومه، ودعوا إلى تقليده ومحاكاته ونبذ العلاقة القائمة على الكراهية والحقد. وقد مثلت الرواية العربية المعاصرة قضية الصراع الحضاري بين الأنا (الذات العربية)، والآخر (الغربي)، حيث ظهرت روايات عديدة تمثل هذا الجانب من بينها: رواية "موسم الهجرة إلى الشمال" لطبيب صالح، ورواية "كتاب الأمير مسالك أبواب الحديد" لواسيني الأعرج، كذلك رواية "مروان" لـ "بن يحيى محمد سفيان"

تناول فيها الروائي قضية اجتماعية تدور حول شاب يعاني من الظروف الاجتماعية المختلفة، من فقر وبطالة، ظلم ...

وتبعاً لما تقدم، وقع اختيار موضوع مذكرتنا الموسوم بـ: "الأنا والآخر في رواية مروان، بهدف ازالة بعض الغموض ومحاولة الاجابة عن الإشكالية الآتية:

كيف تجسدت العلاقة بين الأنا والآخر في رواية مروان؟

وقد تفرعت منه التساؤلات من أهمها: ماذا يقصد بالانا والآخر؟

- كيف جسد الروائي صورة الأنا والآخر في روايته؟
- وكيف كانت علاقة كلٍّ منهما بالآخر؟
- وقد وقع اختيارنا على هذا الموضوع لأسباب هي:
 - فضول علمي ليتحول إلى شغف كبير.
 - رغبة في دراسة وتحليل رواية مروان.
 - التعرف على المواقف المختلفة التي تتجسد في الرواية.
- وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على المنهج البنوي، الذي وظفناه لمناقشة وتحليل القضايا التي يثيري بها حضور الأنا والآخر في الرواية العربية بشكل عام، وفي رواية "مروان" بشكل خاص.
- وللإجابة على إشكالية دراستنا اعتمدنا على:
 - خطة تتصدرها مقدمة.
 - الفصل الأول الموسوم ب: إشكالية الأنا والآخر تناولنا فيه المفاهيم النظرية حول الأنا، والآخر (تعريف لغة، اصطلاحاً، عند الاسلام، عند اليهود)، علاقة ازدواجية الأنا بالآخر.
 - أما الفصل الثاني الموسوم ب: تجليات الأنا والآخر في رواية مروان لـ "بن يحيى محمد سفيان"
- ولقد اعتمدنا على مجموعة من الكتب التي ساعدتنا في البحث أهمها: عمرو عبد العلي علام الشخصية العربية والشخصية الإسرائيلية، حسن شحاتة الذات والآخر في الشرق والغرب...

ولقد واجهنا مجموعة من الصّعوبات من بينها: قلّة الدّراسات حول الرّواية المختارة
دراستها.

- أمّا في الخاتمة فقد وقفنا عند أبرز النتائج المتوصل إليها خلال هذه الدراسة.

الفصل الأول

مدخل في الأنا والآخِر

1/ مفاهيم نظرية للأنا.

1/1- الأنا لغة.

2/1- الأنا اصطلاحا.

3/1- الأنا نفسيا وفلسفيا

4/1- الأنا في الديانات السماوية.

2/ مفاهيم نظرية للآخر.

1/2- الآخر لغة.

2/2- الآخر اصطلاحا.

3/2- الآخر نفسيا وفلسفيا.

4/2- الآخر في الديانات السماوية.

3/ الأنا والآخر في الدراسات الأدبية والفنية.

4/ محددات علاقة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية.

5/ علاقة ثنائية الأنا والآخر.

1/5- علاقة ثنائية الأنا والآخر عند جون بول سارتر.

2/5- علاقة ثنائية الأنا والآخر عند عبد الملك مرتاض.

تمهيد:

تعتبر إشكالية الأنا والآخر من أهم وأبرز الموضوعات والمسائل التي إهتم بها العديد من المفكرين والدارسين، فقد أخذت حيزا مهما وكبيرا في ميدان الاعمال الادبية والدراسات الحديثة. سنقوم في هذا الفصل التعرف على مختلف مفاهيم الأنا والآخر وذلك حسب العديد من آراء المفكرين وعلماء النفس.

1/ مفاهيم الانا

1/1- الأنا لغة:

الأنا " هو ضمير المتصل الواحد وهو التعبير عن النفس الواعية لذاتها".¹ بمعنى ان الأنا تعبر عن نفس وحيدة.

جاءت كلمة "انا" في منجد اللغة والأدب والعلوم أنها "ضمير رفع للمتكلم والانان قولك أنا"،² بمعنى تقديس الذات واثباته.

اما في المعجم الوسيط أنا "ضمير رفع منفصل (للمتكلم والمتكلمة)"³

فمن خلال ما تقدم يتبين لنا حسب ما جاء في المعجمين بان الأنا هي وصف لشخص مذكر أو مؤنث تخص المنكلم وحده، وهذه الأنا تصور شخص أو فرد وتعكس شخصيته وافعاله وذكر في معجم المحيط بانه "ضمير رفع منفصل للمتكلم مذكرا ومؤنثا، وجمعه نحن"⁴

1 مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، مصر، 2007م، ص:95.

2 المرجع نفسه، ص:450.

3معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للمعجمات وحياء التراث، مكتبة

الشروق الدولية، القاهرة، مصر، ط4، 2005م، ص:28.

4حاتم زيداني، العيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائي للأنا والآخر عبر اللغة الشعرية، جامعة قاصدي

مرباح ورقلة، ص 195

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

ورد في لسان العرب ان كلمة أنا "اسم مكني وهو للمتكلم وحده، وإنما بني على الفتح فرقا بينه وبين أن التي هي حرفٌ نصبٍ للفعل؛ أما الألفُ الأخير إنما هي لبيان الحركة في الوقف".¹

2/1- الأنا اصطلاحا:

قد يجد الباحث صعوبة جلية في تعريف الأنا والقبض على مفهومه الاصطلاحي الواحد، وذلك ان عديد العلوم تتشارك فيه من فلسفة وعلم النفس والأدب ...، لذلك نجد كل علم عرفه تعريفا خاصا، حيث ذكر عباس يوسف حداد قائلا " الأنا مفهوم مراوغ يستعصي على التعريف والحد الاصطلاحي، لأنه يدخل في مشاركة كبيرة في أغلب فروع العلوم الإنسانيّة (الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، علوم عربية، والعلوم السياسية"² إذا الأنا مرتبطة بالشعور والإدراك، فهي كيفية تعامل مع الآخرين في شكل احترام بين "الهو" و "أنت".

الأنا هو "الذات التي ترد اليها افعال الشعور جميعها وجدانية كانت أو عقلية أو إرادية وهو دائما واحد ومطابق لنفسه، وليس من اليسر فصله عن اعراضه، ويقابل الغير والعالم الخارجي ويحاول فرض نفسه على الآخرين وهو اساس الحساب والمسؤولية"³. يوضح لنا هذا التعريف أن "الأنا" هي الذات، وأيضا "الأنا" هي النفس لذلك لا يمكن فصل الأنا عن أعراض الفرد.

ويقصد بالأنا أنها ضمير مستقل ومنعزل عن الآخر وتختلف عنه بالضرورة شكلا ومضمونا.

1 ابن منظور: لسان العرب، مجموعة 1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، د ط، 1988م، ص:122.

2 حاتم زيداني، العيد جلولي، ص: 195

3 ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر، 1983م، ص:23.

1/3- الأنا في المفاهيم النفسية والفلسفية والاجتماعية.

أ/ الأنا فلسفياً:

إنّ الأنا من منظور فلاسفة العرب هي: "الإشارة إلى النفس المدركة، أمّا في الفلسفة الحديثة تشير كلمة أنا في معناها النفسي والأخلاقي إلى الشعور الفردي الواقعي والى ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه الشخص المفكر".¹

وللأنا في الفلسفة الحديثة عدة معاني منها: المعنى النفسي والأخلاقي حيث: "تشير كلمة "أنا" في الفلسفة التجريبية إلى الشعور الفردي الواقعي فهي إذا تطلق على موجود تنسب إليه جميع الأحوال الشعورية".²

وأيضاً في المنظور الفلسفي الحديث ف (للأنا) معاني عديدة، فالفيلسوف "هيوم" ينكر أن تكون (الأنا) مادة، وفي المقابل تنص "كانت" إلى مصطلح الأنا الخالص. كما تدل كلمة "الأنا" على ما يهتم به الفرد من أفعال معتادة ينسبها إلى نفسه نحو: أنا فعلت، أنا أبصرت.³

في المعنى الوجودي: "فتدل كلمة "أنا" على جوهر حقيقي ثابت يحمل الأعراض التي يتألف منها الشعور الواقعي، سواء كانت هذه الأعراض موجودة معاً أو متعاقبة فهو إذن مفارق للإحساسات والعواطف والأفكار لا يتبدل بتبدلها، ولا يتغير بتغيرها".⁴

1 جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986م، ص:140.

2 مرجع نفسه، ص: 140.

3 سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة البصرة، 2012 ص 1.

4 جميل صليبا المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986م، ص:141.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

المعنى المنطقي: "تدلّ كلمة "أنا" على المدرك من حيث إنّ وحدته وهويته شرطان ضروريان يتضمنها التركيب المختلف الذي في الحدس، وارتباط التصورات التي في الذهن

" 1 .

بمعنى أن الضمير "أنا" ضمير لفظي تجتمع فيه الأحاسيس والمشاعر وما إلى ذلك. ولقد كتب هيجل: "الوعي بالذات بما هو هوية مخصصة لا يبني إلا ضمن تفاعل متين مع غيره. إنه لا يدرك نفسه إلا بالاعتراف به من لدن وعي آخر بالذات ولكن للتخلص من هذه التبعية يقوم الوعي بالذات نفسه على انه اوحده، ويقصي الآخر، ان كلّ واحد يروم الغاء الآخر حتى يحصل على اليقين بالذات " 2 . ومعنى ذلك أن (الذات/الأنا) مرتبطة بحياة الفرد الشخصية، وتلبي حاجاته الفيزيولوجية والغريزية.

ب/ الأنا نفسيا:

لقد اهتم علماء النفس في بادئ الأمر بالجانب الشعوري فقط من حياة الإنسان فكان: "كلّ اهتمام علماء النفس قبل ظهور مدرسة التحليل النفسي متجها إلى دراسة الظواهر العقلية الشعورية، ولم يكن أحد منهم يهتم بالبحث عن العمليات العقلية اللاشعورية التي تحرك سلوك الإنسان وتدفعه إلى القيام بصور النشاط المختلفة السوية والشاذة على السواء" 3 .

إنّ أوّل من كانت له الصّدارة في الحديث عن الأنا هو الفيلسوف النمساوي سيغموند فرويد في "اكتشاف تلك الحقيقة الهامة وهي أنّ جزءا كبيرا من حياتنا العقلية لا شعوريّ،

1مرجع السابق، ص: 141.

2الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، أغسطس

1999م، ص: 341-344

3سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، ص: 12.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

وأنّ لهذا الجزء اللاشعوريّ من حياتنا العقلية تأثيراً كبيراً على سلوكنا ومشاعرنا سواء في حياتنا السويّة أو فيما تتعرّض له من اضطرابات وأمراض نفسيّة¹.

إنّ الأنا عند علماء النفس ترتبط بالشخصية الإنسانيّة، وكلّ إنسان تنقسم شخصيته عند فرويد إلى ثلاثة فروع رئيسية:

-الهو: ويمثّل الجانب اللاشعوريّ في الشخصية، وهو كتلة من الميول والرغبات والدوافع التي تولد مع الإنسان، وهي دوافع غير منضبطة وتوصف بالبدائية والحيوانية والشهوانية. وحسب فرويد فشخصية الطفل الصغير تتكون من هذه القوى، ووظيفة هذا الجانب من الشخصية هو إشباع الرغبات بشتى الوسائل، وإن تطلّب الأمر تلك الغريزة بواسطة الخيال أو الحلم².

- الأنا: ويمثّل الجانب الواعي من الشخصية الإنسانيّة وهي تمثل حلقة وصل بين ذات الفرد والعالم الخارجي ويذهب فرويد إلى أنّ (الأنا) يشرف على الحركة الإرادية ويقوم بمهمة حفظ الذات وكبح الرغبات الغريزية التي تنبعث من الهو ويكبت ما يرى هناك ضرورة لكبته، ف (الأنا) تمثل الحكمة وسلامة العقل³.

وهي أكثر تمدنا وتحضرا من الذات (الهو)، التي تمثل الجانب البدائي من الذات، ويرى فرويد ان هذه (الأنا) إذا كانت قوية، فإنها تستطيع ان ترغبم (الأنا) الدنيا على الانتصار في إشباع داخلها حين تحين الفرص، أمّا إذا كانت (الأنا) ضعيفة فإنها ستخضع لسطوة ال (الهو) وبعدها سيسود مبدأ اللغّة ويحل مبدأ الواقع، وقد تخضع (الانا الضعيفة) لتأثير (الانا الأعلى)، فتصبح أنا متزمنة مشلولة غير قادرة على القيام بمهامها وأدوارها في إشباع الحاجات الأساسية فتكتنفها الحيرة والقلق والتوتر فتميل إلى الكبت في أعماق

1 المرجع نفسه، ص: 12.

2 سعد سامي محمد، المرجع نفسه، ص: 02

3 سيغموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4، ص: 17.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

اللاشعور وبحسب يونغ ف (الأنا) هي المسؤولة عن شعور المرء بهويته في حين أنّ الذات هي المعادن للنفس أو الشخصية الكلية¹.

- الأنا الأعلى: تمثل الجزء الضابط للسلوك في الشخصية الإنسانية ويركّز على القيم والمبادئ الأخلاقية، لذلك فهو يستبعد كلّ التصرفات غير المتوافقة مع القيم والمبادئ الصادرة من (الهو) وتحيلها إلى رغبات مكبوتة وبحسب فرويد، ف (الأنا الأعلى) هو ذلك الأثر الذي يبقى في النفس من فترة الطفولة الطويلة التي يعيشها الطفل معتمدا على والديه وخاضعا لأوامرهما ونواهيهما²،

ويؤكد فرويد أنّ الأنا الأعلى يحدث نتيجة لعاملين هاميين أحدهما: بيولوجي أي أنّ الفترة الطويلة التي يقضيها الإنسان معتمدا على غيره أثناء الطفولة، والآخر عامل تاريخي، فيرى: أن الجنسية (الرغبة) لا تقتصر على التأمل وإنما تتمثل بوظيفة الحصول على اللذة من بعض مناطق البدن، ولعلّ الفنّ هو أوّل تلك المناطق التي تظهر عقب الولادة، أي إصرار الطفل على الرضاعة وبعناد يدل على الرغبة في الحصول على اللذة³.

وبهذا التقسيم للشخصية الذي عمل به فرويد، يرى أنّ الأنا الوسيط الذي تنتقل عبره تأثيرات العالم الخارجي وأن العلاقة التي تربطه بالهو هي علاقة إشراف ومتابعة ويقول: "إنّ الأنا يقوم بنقل تأثير العالم الخارجي إلى الهو وما فيه من نزعات، ويحاول ان يضع مبدأ الواقع محل اللذة الذي يسيطر على الهو (...)، وتوضح أهمية الوظيفة التي يقوم بها الأنا في توليه الإشراف عادة على منافذ الحركة وهو في علاقته بالهو مثل رجل على ظهر

1سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العاشر رسالة ماجستير في الأدب العربي جامعة البصرة، 2012

ص:02

2 المرجع السابق، ص: 02

3 المرجع السابق، ص: 02

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

جواد يحاول ان يتغلب عن قوة الجواد العظيمة"¹. إذن الأنا هي التي تقوم بنقل تصرفات الفرد إلى الخارج والدفع بالمكبوتات المدفونة في العمق.

وقد عرف جيمس James "الأنا" بأنها: "ذلك التيار من التفكير الذي يكون احساس المرء بهويتها الشّخصيّة وقد رأى كولي Cooly أن طبيعة الأنا هو شعور أو خبرة شعورية يمكن ان نطلق عليها شعوري أو الشعور والإستحواذ، وهذه المشاعر غريزية ووظيفتها الرئيسية هي توحيد ضروب نشاط الفرد، ودفعها إلى الامام، وتنتج الجوانب المختفية للأنا من خلال التعامل مع الاخرين"².

ويقول كلفن هال: "...في الشّخص السويّ نجد أن "الأنا" هو الجهاز التنفيذي للشخصية وهو الذي يتحكم في "الهو" و "الأنا" ويدبر شؤونهما، وهو الذي يحفظ الاتصال بالعالم الخارجي من اجل مصالح شّخصيّة كلها ومطالبها البعيدة، وحين ينجز "الأنا" وظائفه التنفيذية بحكمة، يسود الانسجام ويعم الإتزان...."³.

ج/ الأنا إجتماعيا:

مثلما تناول رواد الفلسفة وعلماء النّفس مفهوم الأنا، كذلك كان لعلماء الاجتماع نصيب من ذلك، فلقد كان لهذا المفهوم مكانة بارزة، حيث يدرسونه من خلال علاقاته بمحيطه، وتفانوا في تفسير وتحليل خباياه على اعتبار أنّه ظاهرة اجتماعية كباقي الظواهر في مجال العلوم الإنسانيّة والاجتماعية وفي ذلك يقول يوسف حداد: "في علم الإجتماع يرتبط مفهوم الأنا بالهوية الفردية أو تصر الشخص لذاته وخصائصها المعرفية ومكوناتها

1 سيقموند فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط 4 ص: 16.

2 عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر الشّخصيّة العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر، دار

العلوم للنشر والتوزيع والمعلومات، ط1, 2005م، ص: 09

3 عمرو عبد العلي علام، ص: 10.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

الفكرية والاجتماعية من قيم وتقاليد، مورثة أو مكتسبة كتعبير موسع للاننا عن الهوية الجمعية"¹.

يتضح لنا من قول عباس يوسف الحداد إنّ الأنا في الدرس الإجتماعي أخذت طريقا مغايرا عن تعريفها في الدرس الفلسفي أو عند علماء النفس، "فارتبط مفهومها عند علماء الإجتماع بالهوية الفردية للشخص وتصور هذا الاخير للذات التي تسكنه وما تملك من خصائص معرفية، دون نسيان مكوناتها الفكرية والاجتماعية، وذلك من خلال التقاليد والقيم المورثة والمكتسبة من طرف هذه الذات"².

إنّ الأنا في علم الاجتماع تعرّف بأنّها: "فرد واعي لهويته المستمرة، ولإرتباطه بالمحيط، فإحساس الفرد بأنه لا يتحقق إلا بعد إدراكه لكيونته أولا، كيف لا؟ وجسدي هو مركز توجه نقطة الصفر منه أدى كلّ ما أستطيع رؤيته... فهو عامل محرّك لمجرى الإدراك"³.

ومن أسس إندماج الأنا في الجماعة حيث إنّ: "من الشروط الأولية لبناء وحدة بسيكولوجية إجتماعية هو إنشاء "صورة الآخر": فبفضلها تتحقّق نزعة الفرد إلى خلق إنشطار بين "النحن" و"الهم" وإلى تمييز الفروق القائمة بين هؤلاء وأولئك تلك هي النزعة التوافقية إلى إنشاء "نحن" ذاتيه تقرن بكلّ ما هو آخر لكي يصلح فصلها عنه لاحقا، وقد تكون للأخر اولوية أكبر على الأنا في هذه الحالة"⁴.

1 المرجع السابق، ص: 10.

2حاتم زيدان والعيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائري للاننا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة، من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر، العدد 29/ ديسمبر 2017، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة الجزائر، ص: 198.

3بوحلايس سلاف، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مخطوط الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018-2019م، ص: 10.

4 المرجع السابق، ص: 11.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

ولم تذهب كاميليا عبد الفتاح مذهبا في الآخر في تصورهما للأنا بحيث إنَّها لم تر غير الذي رأوه كلٌّ أولئك العلماء، فمهوم الأنا أو الذات عندها "هو معنى مجرد لإدراكنا لأنفسنا جسميا وعقليا واجتماعيا في ضوء علاقتنا بالآخرين الذين يكونون بمثابة مرآة عاكسة لصورتنا"¹.

4/1 الأنا في الأديان السماوية:

/الديانة اليهودية:

لقد أراد الشعب اليهودي لنفسه مكانا مستقلا عن الشعوب الأخرى، مع عدم الإختلاط بالآخرين أي رفضهم للآخر، إذ "نجدهم في شتى أنحاء العالم لم يندمجوا في المجتمعات الأصلية، بل حاولوا خلال التاريخ البشريّ الطويل، التكتّل فيما بينهم، وقد أدى هذا التكتّل إلى انحصارهم في مناطق معينة من العالم، وقد إنطلقوا من نظريات معينة، حيث سموا أنفسهم (شعب الله المختار)، وكان هذا يعني بالنتيجة عدم إختلاطهم وتزاوجهم مع العنصر غير اليهودي"، وتبنيهم فكرة أنّهم شعب الله المختار، فلا بد "أن يكون بقية البشر خدما وعبيدا لهم، ويكونوا وحدهم المسيطرون"².

ولمّا أراد اليهود أن يكون البشر عبيدا لهم، وكانوا أمما متفرقة في جميع أنحاء العالم، فكروا بالاستقلالية وأن يجعلوا لأنفسهم دولة مستقلة، وبذلك إحتلوا ارض فلسطين، وفرضوا السيطرة عليها وجعلها وطنا لهم "لتكون مطالبتهم بها صبغة دينية شرعية فجعلوا من ميثاق

1عبد العزيز حنان: نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات، مخطوط ماجستير قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم النفس، تخصص الارشاد النفسي والتنمية البشرية، بوشلاعم يحي جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م، ص:

2عفيف عبد الحافظ الغيمات، اوربا تعتنق الاسلام، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2016م، ص:9.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخِر

منح الرب أرض كنعان إلى إبراهيم (عليه السلام) وذريته، أذن لهم بإبادة الكنعانيين هم وأطفالهم وشيوخهم ونساءهم ليحلوا محلهم وكذلك إبادة جميع أعدائهم على مر الزمان"¹.

إنّ الهدف الوحيد للشعب اليهودي "القضاء على الأمة الإسلامية في مهدها، حتى ينسوا فانكمشوا إلى حين ولكن مخططهم هو استبعاد البشرية كلها، وسحقها تحت أقدامهم ولكن كان الإسلام عدوهم الاوّل الذي يحقدون عليه الحقد الأشد" ولكن كان هم اليهود القضاء على الإسلام وذلك من خلال ما مارسه الصهيونيين في الاراضي الفلسطينية من فنون الإجرام والتعذيب على أبناء الشعب الفلسطيني، فأحال حياتهم إلى جحيم من خلال القتل وسلب أراضيهم، وهدم منازلهم...²

وعليه فالديانة اليهودية كانت أكثر الديانات عنفا ضد الإسلام والمسلمين، فقد ذكرت صفاتهم في القرآن الكريم ومن بينها التمرد علي الله، وقتل الأنبياء، ونشر الشر بين الناس لإفسادهم، والكفر، وحتى السعي لتحريف الكتاب المقدس وغيرها.

ب/ الديانة الإسلامية:

إنّ الله سبحانه وتعالى أرسل سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- إلى الناس جميعا، وذلك من أجل هدايتهم وإرجاعهم إلى الطريق الصواب، وزرع المحبة والمودة فيما بينهم وكذا مع غيرهم، فأثرت الرسالة المحمدية في التصورات الفكرية للفرد المسلم، لذلك تجد أنّ تصورات المسلمين تختلف اختلافا كبيرا وجوهريا عن تلك التي عند اليهود.

وللأنا سمات عديدة فهي تعني عند الفلاسفة المسلمين الإشارة إلى النفس المدركة قال ابن سينا: "المراد بالنفس ما يشار إليه كلّ أحد بقوله: انا، وقال الرازي ان النفس لا معنى لها إلا المشار إليه بقوله انا"³

1عفيف عبد الحافظ الغيمات، المرجع نفسه، ص: 11.

2 المرجع السابق ص 11

3جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986 ص: 139.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

تبدو الأنا جليلة وواضحة في سورة طه في خطاب الله تعالى لموسى: "إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري"¹

وقد جاءت "الأنا" مع ظهور الدين الإسلامي الذي يحددها بمجموعة من القيم الأخلاقية التي تتمثل في التآزر والتصالح مع الآخر.

فالمسلمون انطلاقاً من قيم دينهم لا ينظرون إلى الآخر بأنه أقل شأناً منهم، بل فرض عليهم التعايش السلمي واحترام من سالمهم من الناس، وإتاك لتجد في القرآن الكريم ما يدعوا إلى التعامل بالقسط مع الناس، وفي سورة الممتحنة توجيه مباشر في قوله تعالى: لا يَنْهَأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ" الممتحنة، الآية 8.

وهذه الآية كافية لتوضيح الدعوة إلى التعامل بالبرّ والقسط مع الناس جميعاً، وهي مثال من أمثلة كثيرة في القرآن توجه المسلم وتحدّد له طرق التعامل مع الآخر.

2/ مفهوم الآخر:

1/2- الآخر لغة:

ذكر الآخر في المعجم الوسيط بأنه "أحد الشئيين ويكونان من جنس واحد، قالي المتنبي:

ودع كلّ صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى"².

نستنتج من التعريفين السابقين ان الآخر تعني كلّ ما هو مخالف، أي مثلاً تكون هناك ذاتا يقابلها أيضاً آخر مخالفا له

1 سورة طه، الآية 14.

2 مجمع اللغة العربية المعجم الوسيط، دار الشروق الدولية، مصر، ط4، 2008، ص 08.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

في لسان العرب يعرف على أنه: اسم على أفعل والأنتى أخرى، إلا أنّ فيه معنى الصفة لأن أفعل من كذا لا يكون إلا في الصفة، وتصغير آخر أُؤَيَّرٌ¹.

يتخذ مفهوم الآخر معنى أوسع يفيد كلّ ما يختلف عن الموضوع والذات، فيشمل الاختلاف كذلك مستوى الأشياء².

كذلك نجد الآخر أنه "أحد الشخصين أو الشيئين ويكونان من جنس واحد، أو هو ما يدل على فرق، على تمييز بين شخصين أو شيء مقصود وأشخاص أو أشياء من الفئة ذاتها والجنس نفسه: "إنك تحب الآخر"، أي إن من تحب ليس بالشخص المقصود ذاته بل غيره ثان³.

2/2- الآخر إصطلاحا.

الآخر هو ضد الأنا ومعنى هذا وجود بإقرار حياة أخرى خارجة عن دائرة الذات.

ويرى عمر عبد العلي علام ان "(الآخر) هو عبارة عن مركب من صفات وخصائص النفس البشرية والاجتماعية والسلوكية والفكرية، ينسبها فرد ما إلى الآخرين، وكل تعريف يطلق على (الأنا) من شأنه ان يطلق على (الآخر) ايضا، أي في حالة أن تكون الأنا ترتبط بعلاقة اختلاف -سواء في الجنس أو الفكر أو الانتماء- مع (أنا الاخرى)، تكون الأخيرة هي الآخر"⁴.

ومفهوم "الآخر" عند ميشال فوكو (متعلق بالذات تعلقا لا فكاك منه شأنه في ذلك شأن ارتباط الحياة بالموت، "فالآخر" بالنسبة إلى فوكو هو الهاوية أو الفضاء المحدود

1 ابن منظور، المرجع السابق، مادة ا خ ر.

2 حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات واشكاليات، منتدى سور الازبكية، دار العالم العربي، ص: 17.

3 المنجد في اللغة العربية المعاصرة، ص: 11.

4 عمرو علي عبد العلام، المرجع السابق، ص: 17.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

الذي يتشكل فيه الخطاب". ونقصد بذلك ان "الآخر" بالنسبة له هو الموت بالنسبة إلى الجسد البشري.¹

3/2- الآخر في المفاهيم النفسية والفلسفية والاجتماعية.

أ/ فلسفياً: هو يمثل تيمة ذات مكانة مبرزة نظراً لارتباطها الجدلي بالانا، الذات والهوية، أنه لا بد لنا من الإشارة إلى ان صورة الآخر تستدعي الأنا، كما ان صورتنا لذاتنا تستلزم حضور الآخر، وكأنهما مولدون معا ولا يمكن عزلهما عن بعض، وبهذا يتشظى مفهوم الآخر لتتسع دائرة معناه فيشمل حمولات فكرية تتشابه في علاقتها مع الذات.²

عرف سارتر الآخر بقوله: "الآخر هو الأنا التي ليست أنا"، ويضيف: "الآخر ليس أنا، وأنا ليست هو، إن عبارة (ليس) تدل على العدم، من حيث هو عنصر معطى يفصل بين الآخر وبينني... وهذا العدم لا يستمر أصله مني ولا من الآخر... إنه غياب أصلي لكل علاقة"³.

فمفهوم الآخر إذن أسهل طريقة لتعريفه هي القول "أن الآخر مختلف بشكل أساسي عن نحن"⁴.

في حين عرفه ارسطو بأنه هو: الآخر المستبعد هو الغريب الذي يتمكن من إستخدام وفهم اللغة المشتركة"⁵.

1 قادة محمد: الحوار الثقافي بين نحن والآخر من منظور عبد الملك مرتاض، المجلد 16، العدد 02، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، سبتمبر 2020م، ص: 325.

2 مازية حاج علي، المرجع السابق، ص: 30.

3 حلوز جلال، المرجع السابق، ص: 25.

4 طاهر لبيب، المرجع السابق، ص: 54.

5. المرجع السابق، ص: 54.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

ب/ نفسياً: يشير إلى مجموعة من السمات والسلوكيات الاجتماعية والنفسية والفكرية التي ينسبها فرد/ذات أو جماعة إلى الآخرين مما يحيل إلى أن الآخر حاضر في المجال العام للهوية، فالأنا هي التي تستطيع أن تميز الآخر، وتصوره لنفسها كما ترضى، فإن كان هذا الآخر صورة عنها كان مقبولاً إذا ما تحول صار مرفوضاً ومستقبها¹.

وبهذا فإن كل تعريف يطلق على الأنا يمكن له أن يطلق على الآخر بشرط أن ترتبط الأنا بعلاقة اختلاف مع أنا أخرى سواء في الجنس والعمر، أو العرق أو الفكر، أو في الثقافة والدين، أو في الانتماء أو اللغة لتكون هذه الأخيرة هي الآخر².

لا يشترط في الآخر أن يكون الغير المختلف عنا اثنياً أو عرقياً، بل يمكن أن تكون الذات هي منشطرة على نفسها آخر بالنسبة لها، إذ يستطيع المرء أن يكتشفها ويتعرف عليها شيئاً فشيئاً. فالآخر (حقيقة موجودة في داخل كل منا يملأ الوجود، هو مائل في البصر والبصيرة، مائل في السماع والاستماع، مائل في الداخل والخارج، مائل في الحقيقة والحلم)³.

يمثل الآخر كينونة مخصوصة وأنا من جهة استرجاعية، ولكنه لا يرد إلا باعتباره مختلفاً عن الأنا لكنه يتضمن المغاير الذي لا يمكن التعرف عليه إلا إدراكاً ذهنياً وبالرغم مما وقفنا عليه من أن علم النفس يعتبر الآخر شرطاً انطولوجياً لوجود الأنا بحيث لا تعرف ولا تتعين إلا به، فإن حركة الإندفاع نحوه هي عامة حركة قاتلة اغتياليه واسترداديه لمشاعر الغائب مما يؤدي جوهره السلبي عامة⁴.

ويرى جاك لاكان (أن المرء لا يتشكل كفرد دون علاقة تربطه بالآخر، فالطفل حين يرى صوراً في المرآة فإنه لا يزال يستبدل صورة الآخر هذا بنوع من (الأنا)، ولكنه تدريجياً

1 مازية حاج علي، المرجع السابق، ص: 30.

2 المرجع السابق، ص: 31.

3 سعد سامي محمد، المرجع السابق، ص: 04.

4 مازية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة مقدمة انيل درجة الدكتوراه في أدب ولغة عربية، أدب عربي حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة ص: 31.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

يدرك أن الصورة محض صورة خارجية بالنسبة للذات ... وتتحول الصورة إلى علاقة للأنا وهذه هي مرحلة نظام الرمز (صورة في المرآة رمز أو دال أو علاقة تشير إلى الأنا)¹.

4/2- الآخر في الديانات السماوية.

أ/ الديانة اليهودية:

يشير اليهود إلى غير اليهود بكلمة Gentiles، وهي كلمة من أصل لاتيني gens، وضعت للإشارة إلى غير اليهود بصفة عامة، ويتضمن المصطلح مفهوماً يشير إلى نظرة دونية واحتقار لغير اليهود، إلا أن الموسوعة اليهودية تذهب إلى خطأ ذلك المفهوم مؤكدة أن الكلمة لا تعني أكثر من الدلالة على غير اليهود².

وتماثل هذه الكلمة المصطلح العبري goi المفردة لكلمة goyim التي تعني في الأصل: (شعب) أو (قوم)، وكانت في الأصل تشمل اليهود وغيرهم، وقد جاءت تلك المعاني واضحة في أسفار: التكوين والخروج والتثنية والعدد إلا أنها استعملت كذلك للدلالة على الأمم الأخرى من خارج بني إسرائيل ومن هذا الاستعمال جاء معناها: الغريب، والآخر³. معناه ذلك أن الآخر هو الشعب أو القوم أو أي شيء غريب.

وهكذا تتضح من خلال تلك المقولات المحاولات المتواصلة من جانب الدراسات اليهودية الحديثة لتضييق مفهوم مصطلح (الآخر) أو (الأغرب) وتحديد دائرته في الوثنيين

1 سعد سامي محمد، المرجع السابق، ص: 04.

2 د رقية العلواني وآخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، التأصيل النظري للدراسات الحضارية، دار الفكر، دمشق، 2008م، ص: 46.

3 المرجع السابق، ص: 46.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخ

للتكيف مع ظروف تحتم على الجماعات اليهودية العيش في واقع يضم مختلف الأجناس والبشر¹.

ويرى الحاخام اجوس ان بعض الزعماء الدينيين اليهود كانوا يتداولون فيما بينهم مخطوطات تضم العبارات التي حذفها الرقابة الحكومية، كما يعاد في إسرائيل طبع النسخة الأصلية من التلمود دون تعديل عليها².

ب/ الديانة المسيحية:

إن الايمان المسيحي يجد فالغيرية، في العلاقة بالآخر حقيقة أساسية للإيمان كما تتبع من الكتاب المقدس، وخاصة من علاقة المؤمن المسيحي الشخص يسوع المسيح الذي يمثل له محور الكتاب المقدس ومرجع معنى الكتاب المقدس ومقياس فهمه، والكتاب المقدس هذا، الذي مفتاح فهمه وشرحه وتأويله هو المسيح، مكون من عنصرين: أولهما ما تسميه المسيحية العهد القديم (أسفار التوراة والأسفار التاريخية والأنبياء والمزامير وأسفار الحكمة)، الثاني العهد الجديد (الإنجيل كما وراه الإنجيليون الأربعة، أعمال الرسل "الحواريين"، ومجموعة من الرسائل "القديس بولس وغيره" وسفر الرؤية)³.

خلق الإنسان ذكرا وأنثى، فالإنسان هو أساسا كائن جماعي، كائن صاحب علاقة لغيره، ويكون هذا الإنسان هو جماعة متّسمة بالمساواة في الاختلاف، أي بعلاقة غيرية، هو وحدة في التميز⁴.

في هذا المنطق الذي فيه يصبح (الآخر) من حيث هو (آخر) هو المقياس، يتحدد تعريف من هو قريب، ليس من الخارج ولكن من داخل الذات، تحديد هو القريب لا يتبع

1 المرجع السابق، ص: 47.

2 د رقية العلواني واخرون، المرجع السابق، ص: 47.

3 المرجع السابق ص: 82.

4 المرجع السابق، ص: 82.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخ

من نوعية (الآخر) الخارجية بل يصبح موقف (الذات) نحو (الآخر) يظهر هذا بكل وضوح في مثل السامري الصالح في الإنجيل بحسب لوقا (10/25-37)¹.

ج/ الديانة الإسلامية:

لم يرد بالقران الكريم لفظ (الآخر) بفتح الخاء إلا دالا على مخلوق أو على إله زائف، ومن ثم فإن هذا المفهوم خاص بما هو نسبي فقط أمّا الله (تعالى) فمن أسمائه (الآخر) بكسر الخاء، أي الباء بعد فناء خلقه كله، و(المؤخر)، أي الذي يؤخر الأشياء فيضعها في مواضعها، و(المقدم والأول)، أي الذي ليس قبله شيء وليس بعده شيء، وله الآخرة والأولى². ومعنى ذلك ان الله يتصف بالآخريّة المطلقة والأولية المطلقة،

كما وردت في القرآن الكريم في قوله تعالى: "واتل عليهم نبأ ابن-آدام بالحق إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك قال إنما يتقبل الله من المتقين"³، أي قرب كلّ منهما قربانا لله تعالى، فتقبل الله قربانا أحدهما لأنه كان من أحسن ماله، وكانت نفسه طيبة، وهو قابيل لأنه كان أردا ماله، ونفسه به متعلقة، فقال لأخيه هاويل لأقتلنك حسدا له، كما حسدتك اليهود، وحسدوا قومك في نبوتك ورسالتك فقال له اخوه إن عدم قبول قربانك عائد إلى نفسك لا إلى غيرك إنما يتقبل الله من المتقين.

وقوله تعالى أيضا: "فإن عُثِرَ على أنّهما استحقّا إثما فأخراّن يقومان مقامهما من الذين استحقّ عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا أحق من شهادتهما وما اعتدينا إنّنا إذا لمن الظالمين"⁴، أي وأن وجد أن الذين حضر الوصية وحلفا على صدقهما فيها وصاهما

1 المرجع السابق، ص: 82.

2د السيد عمر: الأنا والآخر من منظور قراني، التأصيل النظري للدراسات الحضارية، دار الفكر، افاق معرفة

متجددة، سنة 1957م، ص 155.156

3سورة المائدة الآية 27.

4سورة المائدة الآية 107.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

فيه من حضره الموت ان وجد عندهما خيانة أو كذب فيما حلفا عليه، فيقسمان بالله قائلين والله: لشهادتهما أحق من شهادتهما أي لأيماننا أصدق وأصح من أيمانهما.

3/ الأنا والآخر في الدراسات الثقافية والأدبية المعاصرة:

وللأنا والآخر حظهما في الدراسات الأدبية، وتعد الأنا من أكثر الأفكار حضوراً في معجم الغرب الحديث، وبهذا فنحن نتحدث عن الاختلاف بين ذاتنا الحقيقية وذواتنا الإعتيادية، لذلك أحيانا ننظر نظرة معمقة لذواتنا لنعرف حقيقة ذاتنا، ونحن نسمع نقاشات يومية عن تقدير الذات، وحديث الذات، تأتي من علماء النفس والاستشاريين.¹..

أي أن معرفتي لذاتي لا تتم إلا من خلال معرفة الآخر لي، بين أن وقفة الذات أمام الآخر باختلاف أطره الثقافية والحضارية هي وقفة ممزوجة بالقلق والتوتر، بل هي وقفة سرعان ما تتلبس بالرحيل متجهة نحو المختلف، المغاير أملاً في الوصول إلى الكمال الذي لا يتحقق فلا ينبغي سوى الرحيل إليه.²

لذا فإن الآخر هو اللازمة المنطقية لاستيعاب المغاير، بوصفه عنصراً فاعلاً في المبدأ الحوارية، الذي يصل بين مكونات الثقافة المنفتحة على مستوى الحضور الداخلي، للاندماج بالآخر، المغاير على مستوى الحضور الخارجي في الأفق الحوارية، الذي لا تغلق به الثقافة على نفسها، وهذا الأمر ينطبق على ثقافة الشرق، لأن احتفاظ ثقافة الشرق بذاتيتها وأصالتها جعلها ترفض أن يذبيها الآخر أو تفقد خصائصها أو مكوناتها بل تسعى

1 طوني بينيت وآخرون، تر: سعيد الغالمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، الطبعة 1، بيروت، لبنان، 2010، ص: 341.

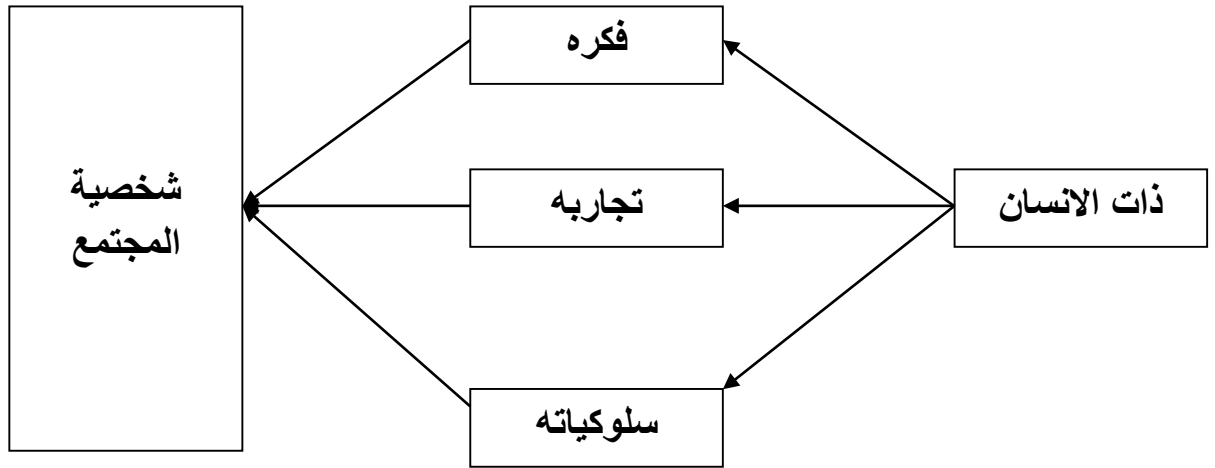
2 رشا عبد الحسن عبد العظيم، الذات والآخر في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة ماجستير في اللغة وأدبها، جامعة القادسية، جمهورية العراق، 2013، ص: 11.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

إلى السير في ركب الحداثة بوصفها نوعا من احتفائها بنهجها ومكانتها خالقة وعالمة لتصنع عوالم جديدة كما صنع الله العوالم القديم¹.

وهذا مما جعل العناية بالآخر وطبيعة الاتصال به والفائدة منه والحوار معه تمثيلا لذاتنا الثقافية وما أحرزته من وعي يناط به القدرة على الحوار مع الآخر والاستيعاب ثقافته والتأثر به، محاولا رصد إنتاج الآخر والأخذ من ثقافته ومعرفة طبيعة ما يدور في ذهنه، ليستعار منه أفكار ونماذج جاهزة بيد بأنه يمكن أن يضيف عليها أسلوبه الممتع الأخاذ².

والثقافة المتأسسة من ذات الإنسان والمعبرة بصدق عن صميم حقيقته عن فكره، وتجاربه، وسلوكه هي الثقافة المتكاملة والحصيلة المتبلورة التي تتشكل منها شخصية المجتمع، ويمكن ان نوضح ذلك بالمخطط الآتي³:



لذلك نحتاج إلى الآخرين لذا لا يمكن ان يكون هناك عالم لا يشوبه الاختلاف، بيد أن هناك تخوفا مما يمكن أن يفعله الآخر، الغربي بنا مما إذ كنا سنبقى بعد تلك المواجهة

1رشا عبد الحسن عبد العظيم، المرجع السابق، ص: 11.

2طوني بينيت واخرون، المرجع السابق، ص: 344.

3محمد بلقاسم خمار، حوار من الذات، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2000، ص: 56.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

منه، فقد أسهم الاستعمار السياسي في تقديم نموذج سيء للعلاقة بالآخر، فأصبحت بهذه العلاقة المتغلغة في حياة الفرد، وفكره، وثقافته تصب في غيابات الإستعمار وأهدافه¹.

ويؤكد (ادوارد سعيد) أنه (ليس من صالح الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة تكريس صدام بين الثقافات والحضارات، بل عليها أن تعمل على تنميته بدلا من هذا العداء)، فالإنفتاح على الآخر، العالمي ما هو إلا انفتاح على مفهوماته ليزدحم فضاء الثقافة العربية والإبداع العربي².

إذن يمكن أن يعد الفن المنظومة النابضة بكل التشكلات المعرفية، وهو الوحيد القادر على إظهار صورة الأنا الموهوبة الفنانة من خلال أدواتها وهو يعد الأكثر جرأة على طرح الأنا بكل تفاصيلها وعلى محاورة الآخر والكشف عنه، والأدب جزء من هذا الفن وهو قادر بفعل اللغة التي هي منظومة فكرية حية على نقل الهوية الداخلية والذات الشعرية إلى العالم من خلال الشعر فيعبر بذلك (عن حزنه وألمه وفرحه وسروره فتحيا نفسه من جديد وبذلك تكون النفس صانعة الأدب ويكون الأدب من يصنع النفس) للشاعر، فأى عمل ينجزه إنما يريد منه التنفيس عن همومه ورغباته وعواطفه فيطرحة من خلال الشعر وهو لا يكتفي بهذا بل يريد أن يوصل إبداعه إلى الآخر ليعيش معه تجربته، وهو قادر أيضا، نعني الشعر على معاينة الآخر وإظهار أنه للوجود والاظهار رؤانا عنه، وكل ما يتعلق بوجودنا الشخصي والاجتماعي³،

فقد تجلت علاقة الذات بالآخر في تجربة الشعراء عامة بأشكال مختلفة فلم تكن ذات مسطحة تواجه الآخر وإنما أخذت أدوارا متداخلة إلى إيجاد إستراتيجيات للتواصل مع الآخر والتماهي معه، فلا توجد ذات ساذجة أو صرفه بل تتسرب في ذات كل منا ذوات من

1 طوني بينيت واخرون، المرجع السابق، ص: 345.

2 رشا عبد الحسن عبد العظيم، المرجع السابق، ص: 12.

3 رشا عبد الحسن عبد العظيم، المرجع السابق، ص: 12.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

كلّ نوع ومن كلّ اتجاه، وقد يتعايش هذا الآخر في ذاتنا ويتناص معها ويتخمر على شكل بذرة مضادة¹.

ومن أجل هذا يحق لنا أن نقول إنه لا تخلو قصيدة الشاعر من أن تطرح نفسها كشافاً لذاته ورؤاه عن الآخرين شاء ذلك أم أبى، ويبقى الشعر العراقي مجالاً واسعاً يستبطن حالات وعي الذات الشعرية ورؤية الآخر التي تعد لوحة فسيفسائية تتداخل فيها التفاصيل وتتعلق في حركة يملأها الانفتاح والانغلاق في آن واحد².

وبعد إستعراض أثر الفن في إظهار صورة الأنا وبوصف الأدب جزءاً من هذا الغن يمكن القول إن موضوعية الذات والآخر قد حظيت بالاهتمام البالغ في الدراسات النفسية والادبية.... ومحل النظر اليهما بوصفهما جزءاً لا يتجزأ من هذا المجتمع فيحققان التكامل والإندماج، فلا يمكن ان يعيا الفرد ذاته إلا من خلال معرفة الآخر بوصفه مرآة للذات، لذا فإن أية قطيعة أو فصل عن الآخر يعمل على تحطيم الأنا ويهددها بالضياح والتهميش فتفقد مكانتها بين المجتمع³.

4/ محددات العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية:

إن الحديث عن المحددات في المتن السردي الجزائري مرتبط ارتباطاً مباشراً بمختلف المراحل السياسية والتاريخية التي مرت بها الجزائر عبر تاريخ وجودها، ومن هذا المقام تبرز بوضوح إشكالية "الهوية" في المجتمع الجزائري، فهي تحيلنا مباشرة إلى البعد الاستعماري، "حيث سار الغرب الحضاري على درب الغرب اللاهوتي في ثقافة النفي والإنكار والاستئصال، فنزعة المركزية الحضارية الغربية، التي صورت للغرب أنه بداية الحضارة -التي بدأت بالإغريق والرومان- وأنه نهايتها ونهاية التاريخ، هذه النزعة المركزية قد

1 المرجع السابق، ص: 13.

2 المرجع السابق، ص: 13.

3 المرجع السابق، ص: 13.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

جعلت الثقافة الغربية تنكر تنوع العالم الي حضارات متعددة ومتميزة ومستقلة في ثقافتها¹. عملت الكيانات الاستعمارية الغازية لهذه الأرض منذ القديم -وفق هذه النظرية العنصرية- علي محو الأنا وإلغاء وجودها، عن طريق طمس مختلف معالمها، ومحو خصوصياتها، وكانت آخر حملة غازية علي السواحل الجزائرية عام 1830م، وهي حملة فرنسية، والتي تعد أشد تلك الحملات فتكا واعنفها شراسة، باستخدامها لكل الوسائل العسكرية والثقافية والدينية والتشريعية، من أجل إذابة الذات الوطنية في الذات الأجنبية، إذ سعت بكل قواها إلى "إفراغ عقل الإنسان الجزائري من هويته وشخصيته"، ومن ثم برزت فكرة العدو الفرنسي الذي أذل الأنا وأذاقها صنوف القهر والتعذيب والقتل والإهانة والمسوخ الثقافي و الديني، حيث المارشال بيجو: " أن الحرب التي تقوم بها فرنسا في إفريقيا إنما هي حلقة تابعة للحروب الصليبية" وهذه الحقيقة الكولونيالية للجزائر وأبنائها وعن الهدف الذي تصب إليه فرنسا من غزوها للجزائر، "هو أسمى واقدس من الهدف الذي تسعى إلى تحقيقه في أوروبا، كما ان قضية اخضاع الجزائريين هي قضية روحية، هي قضية الحضارة وقضية التعاليم المسيحية الخالدة التي كتب الله لها النصر المؤزر في عهد الدنيا، وجعل لها فرنسا السند القوي".²

وفي مقابل هذه الفكرة برزت الأنا الوطنية المسحوقة التي تريد بكل قواها أنت تقاوم الفعل (نفي الأنا) ما ورد لديها كراهية وحقدا إتجاه الآخر استمر حتى بعد الاستقلال، حيث تبدو حساسية مفرطة منه وارتباب مما يبدو عنه، وهذا الموقف ينسحب حتى على قسم من الجزائريين الذين ارتموا في أحضان هذا الآخر، وخاصة الذين أطلق عليهم تسمية "الحركي" الذين كانوا خونة يعملون ضد الثورة التحريرية، حيث جابهت الأنا أفعال الآخر وتصرفاته التدميرية للأنا مجابهة قوية وعنيفة استخدمت فيها كل الوسائل الممكنة، أنها أدركت إختلافها عن الآخر الفرنسي: ثقافة و لغة و دينا و حضارة، ومن ثم عملت على

1صوفي بوعلام، المرجع السابق، ص: 45.

2صوفي بوعلام، المرجع السابق، ص: 47.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

إثبات نفسها، وتأكيد أنها عن طريق اللجوء إلى رد فعل وسلوك قصد مقاومة مخططات الآخر والوقوف في وجه محاولة الهيمنة التي يريد بها السيطرة وإلغاء الشّخصيّة الوطنية، "فعلاقة الفرد بالآخر هي وسيلة يعزز بها الإنسان هويته، ويبني بها رؤيته لذاته". والامر هنا لا يقتصر على الفرد العادي، وإنما ينسحب على الطبقة المثقفة أو ما يطلق عليه "الأنتلجنسيا"، حيث نشعر عند غالبيتهم بالإقصاء الآخر بطريقة أو بأخرى، فالمستعمر هو في الغالب الأعم الآخر، هو ميزة نجدها تنطبق على الأدب الجزائري قبل التسعينات من القرن المنصرم، سواء أدب المقاومة أو أدب المقاومة الإشتراكية.

أمّا أدب ما بعد تسعينات القرن الماضي فتنوعت النظرة إلى الآخر فيه، بين مراتب منه وبين داع إلى إعادة النظر في هذه العلاقة وبين مرتم في أحضانه كلية، ولكن على العموم فإن النظرة تبقى عموما تحكّمها الصورة العدوانية للآخر لأن السرد "أكثر أشكال الفن الأدبي تصويرا للمراحل التاريخية الإنسانيّة وللتطورات الأخلاقية الفكرية"، وهذا ما يميزه من خصائص ومرونة عن بقية الأجناس الأدبية تجعله قادرا على استيعاب الماضي والراهن والمستقبل، فالرواية مرتبطة بالمجتمع، فحتى وإن كان من الإسفاف نقل الواقع حرفيا، إلا أن الروائي يبقى محكوما بمحيطه وتاريخه، فالعمل الأدبي هو "المكان الذي يحل فيه الخيال الأدبي جملة التناقضات الاجتماعية المادية التي لا تجد لها حلا في الايديولوجيا العامة"، وعلى هذا يغدو الأدب نشاطا فكريا يساهم في ترقية المجتمع الذي ينتمي إليه، وبلورة أماله وألامه¹. ترسم الرواية الجزائرية في عمومها حدود الذات وتفاعلها وتواصلها أو عدم تواصلها مع للآخر سواء كان هذا الآخر فردا أو جماعة...

1صوفي بوعلام، المرجع السابق، ص: 47.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

بناء على ما سبق يبرز لنا تساؤل ملحّ حول المحدّدات الحقيقية التي تحكم العلاقة بين الأنا والآخر في الرواية الجزائرية وإذا كانت تتبدل بتبدل الأزمنة والأجيال، وهذه النظرة إذا بقيت محكمة بالمواقف نفسها بين أجيال الروائيين هذا ما نسعى عرضه فيما يلي¹:

- جيل البدايات: بدأ هذا الجيل في تبلور في ظل مكانة توفره الحركة الإصلاحية بقيادة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من وسائل التعبير الأدبي وعلى رأسها الصحافة فبرزت أوّل رواية "رضا حوحو" الذي كان أوّل اديب يكتب باللغة العربية، يطرّق أبواب العالم الروائي، ومن ثم فتح الباب أمام انتاج روائي مكتوب بالعربية، فتبرزت نصوص أخرى تباعا مثل "الطالب المنكوب" لعبد المجيد الشافعي ...

- جيل التبلور: وهو جيل الريادة في الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية، وموقفه في عمومته منسجم مع منطق التاريخ الكولونيالي الذي برزت فيه بوضوح ثنائية الأنا/ الآخر، وفيه بحث الأدباء عن "البديل التخيلي الذي يمكنه تعديل ميزان القوى وبالتالي إعادة تشكيل (الأنا) الوطنية ضمن نفس المفهوم الذي وعاه (الآخر) الفرنسي أي مبدأ القوة والإخضاع، بعد أن جسده هذا الأخير عسكريا أبان فترة الاحتلال"²، وهذا لا يمكن فصل الخطاب الروائي عن سياقه التاريخي الطبيعي لأن "الأدب الصحيح لا يتجاوز منطق الحقائق، ولو شط به الخيال" ومن ابرز روادها عرعار محمد العالي، طاهر و الطار عبد الحميد بن هدوقة.²

- جيل الثمانيات: ظلت الرؤية عند أدباء هذا الجيل في عمومها متحفظة مرتابة من الآخر، بل تحولت في كثير من الأحيان إلى ديماغوجية مجانية لا علاقة لها بالنقاش الثقافي الحقيقي والجاد بل تطورت في بعض الأوقات إلى نوع من التشكيك في كلّ من تسول له نفسه الدعوة إلى التواصل مع الآخر ومحاورته ولو بإحتشام، وهذا في المستوى

1 المرجع السابق، ص، 47.

2 - صوافي بوعلام، المرجع السابق ص 49

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

الثقافية تكون فيه الإفادة والإستفادة، في إطار متطلبات العصر، وبعيدا عن التوجهات السياسية والإيديولوجية والنفعية المتحجرة، لا يجب إغفال بعض الأصوات في الحقل الرواية الجزائرية التي دعت إلى التواصل مع الآخر بشكل أو بآخر، و" لهذا الاعتبار ليس من الضروري في السياق الأدبي أن تنبني الغيرية على مرتكزات العرق والجنس والدين واللسان، فالأهم أن تنهض على شبكة من القيم التخيلية التي تستثمر علاقات غير المتوازنة بين الأفراد المشكلة للنص الأدبي (الكاتب والمتلقي والفاعلين المتخيلين)" ومن أبرز رواد هذا الجيل واسني الأعرج- رشيد بوجدره.¹

- جيل العشرية السوداء والمأساة الوطنية: هل يمكن أن تكون وطئه الواقع أشد وأعنف؟ وغرائبته لا يدركها المنطق؟ في التخيل نعم لأن كل شيء مسموح به مدام خيالا متصورا، يهدف إلى إيصال رسالة من نوع معين ولكن ان ترى أمامك صورا مروعة لا معقولة، فذاك كلّ العجب، أن ترى كلّ أنواع الموت، أن تخرج من بيتك وأنت لا تدري هل ستعود حيا أم داخل الصندوق، وفي أقل التكاليف، قد تجد نفسك على أحد أسرة المستشفى...، في ضل هذا الوضع المفعم بالعنف والتطرف برزت في الرواية الجزائرية أصوات شبابية جديدة، حاولت أن تنقذ هذا الواقع، مركزة على الآخر الأهلي الذي شكل تصدعا في الأنا الوطنية، وأشاع الرعب في الناس بمن فيه المثقفين -رمز الردة في نظرهم- هؤلاء عملوا جهدهم على فضح هذه الهمجية، فصورها في انتاجهم الإبداعي، هذا الإنتاج وقع حوله نقاش جاد بين الأدباء والنقاد، بين رافض له كليا وقابل له، ومتحفظ له، ومن أبرز رواد هذا الجيل بشير مفتي،

- جيل ما بعد العشرية السوداء: بدأ النضج الفني يعود للرواية الجزائرية أبانة هذه المرحلة، حيث ظهرت أسماء روائية أسهمت بإنتاجها الوفير في إثراء الحق الأدبي الجزائري، وكان حضور ثنائية الأنا/الآخر لافتا، إذا قلنا نجد عملا يخلو من تناولها، ولعل

¹ - المرجع السابق ص 50

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

ذلك راجع إلى أن أبرز سمة طبعت المجتمع الجزائري في هذه المرحلة هي هوس الشباب الجزائري بفكرة الهجرة إلى ما وراء ضفة البحر الأبيض المتوسط، وبما أن معظم رواد الكتابة الروائية لهذه المرحلة شباب، فإننا نجد الصدى الكبير لهذه الفكرة في أعمالهم، وأن اختلاف رؤاهم إلى الاسباب والدوافع والنتائج، لأن النص بالرغم من خصوصياته الفردية الذاتية، فهو في غالب الأعم، انتاج مجتمع معين، ووليد ظرف حضاري محدد يتقاطع في أماكن عديدة مع المحيط ويتفاعل معه"، كما نلاحظ سمة لا نقول جديدة وإنما لافتة هي تنوع في الأشكال الروائية والأساليب الجديدة لأنها "ترتبط بمرحلة معينة، وتتفاعل مع واقع إجتماعي وسياسي وإقتصادي وحضاري، فتأتي البنية اللغوية فيها وطيدة العلاقة بالبيئة العامة للمجتمع، فهي تسعى لرصد نبضاته ومحاصرة لحظاته والتحليق هارج زمانه ومكانه" ومن أبرز رواد هذه المرحلة عمار الخوص، حسيبة موساوي.....¹

وخلاصة القول في موقف هذه الأجيال من المحددات التي تحد العلاقة بين الأنا والآخر، نجد له صدى عند تزيفيتان تودوروف، الذي قام ب: " تصنيف العلاقة بين الأنا والآخر، حيث صنفها إلى ثلاثة أصناف:

- أولا: حكم قيمة على الصعيد الأخلاقي: الآخر جيد أو الشيء أحبه أو لا أحبه
- ثانيا: فعل التقرب أو الابتعاد بالنسبة إلى الآخر على الصعيد العملي: أتقبل قيم الآخر وأندمج معه أو اجعل الآخر يتمثلني، أو أفرض عليه صورتي الخاصة، بين الخضوع للآخر، وخضوع آخر، يوجد أيضا تعبير ثالث، الذي هو الحياد أو عدم الإهتمام
- ثالثا: أتعرف على هوية الآخر أو أتجاهلها ويكون هذا على الصعيد العملي البحثي.

¹ - صوافي بوعلام، ص 51-52

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

والروائي لا يتعد عن هذه الأصناف بل يدور في دائرتها ويتفاعل مع أحد أصنافها بحسب طريقة تربيته وتكوينه والإيديولوجيا التي يحملها وتأثيرات المجتمع الذي ينتمي إليه والحامل لثقافته.¹

5/ علاقة ثنائية الأنا والآخر.

إن إشكالية مفهوم الشخص متعددة الأبعاد، بين الشخص الاجتماعي والتاريخي وما إلى ذلك، فكل شخص ذات واعية حرة مسؤولة. الشخص كائن قائم بذاته ولذاته، ولكنه كتفكير وليس فردا معزولا عن الآخر أو بالأحرى لا يمكن الإقرار به وبكيانه إلا مع الآخرين حتى تتحقق الغايات والمشاعر والمواقف المشتركة والمعان المختلفة كالحزن والفرح والعداوة والتسامح، فهذه المعان لا تأخذ مكانها إلا داخل الارتباط الكياني بالآخر أو الغير، فكل تلك المقومات لا يصبح لا معنى ولا تؤدي وظائفها إلا بوجود هؤلاء الغير الذين يتممون العالم الانساني، ويحققون وجوده هذا المفهوم العام الذي يأخذ أبعاده داخل هذا الكيان المتكامل الذي يعكس تلك العلاقة بيني وبين غيري².

إذن فتحقق الوجود الانساني مرهون بحضور ذوات انسانية أخرى وذوات الغير، فلا يمكن لأي "أنا" أن تعيش بمعزل عن الآخرين حتى تتحقق ذاته والوعي بها، فحضور الغير مسألة أساسية وضرورة ملحة بالنسبة للانا، والغير ها هنا يكمل وعي الأنا بذاتها ووعي بوجودها³.

يبقى إذا تكوين أو صناعة الأنا، ذا بعدين:

¹ - المرجع السابق ص 53

² حلوز جلال، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتر، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها، مجلة لوغوس، العدد 09-2018، ص:22.

³ حلوز جلال، المرجع السابق، ص: 22

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

-بعد إجتماعي محلي يتحدد مشاريه، ينطلق منه الفرد في تحديد ذاته أوليا ومؤقتا، ف "الإنسان هو مبدأ الفعلي للتطور الاجتماعي، وأحد القوى المحركة لسير التاريخ، فهو يؤثر تأثيرا عميقا في البيئة والتاريخ محولا إياهما، داخلا في صراع مرير مع أوضاع الحياة والظروف التي تقف في وجهه" لتشكل عليه ضغطا متواصلا، وتفرض عليه نمطا ومواقف معينة يلتزمها رغما عنه.

-أما البعد الثاني فهو بعد آخر يتحدد ويتمظهر حينما يتصادف الفرد مع ذات أخرى مختلفة عنه وعن أفراد مجتمعه، مما يولد لديه إرتدادا إلى مجتمعه الأصلي، ويصنع موقفا من الآخر، وهذا الموقف يأخذ أربعة مستويات¹:

- الموقف السلبي من الآخر ← الأنا الراضة للآخر.
- الموقف المتحفظ من الآخر ← الأنا المرتابة من الآخر.
- الموقف القابل للآخر ← الأنا المتواصلة مع الآخر.
- الأنا المرتمية في احضان الآخر.

يمكن أن نستخلص من مستويات الموقف السابق مجموعة ممكنة من العلاقات بين

الأنا والآخر:

- 1- علاقة تصادم وعداوة
- 2- علاقة نفعية مصلحة لا تتعداها إلى غيرها
- 3- علاقة صداقة وتسامح القائمة على الاحترام المتبادل
- 4- علاقة مثاقفة ايجابية أو سلبية².

1صوفي بوعلام، المرجع السابق، ص:31.

2 المرجع السابق، ص:32.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

وفقا لهذه العلاقات المحتملة تتبدل مواقف الأنا من الآخر، أو الآخر من الأنا، فهذا التصور هو " عبارة عن مركب من السمات الإجتماعية والنفسية والفكرية والسلوكية التي ينسبها فرد ما أو جماعة ما إلى الآخرين" انطلاقا من خلفية مسبقة وقوالب جاهزة أخذتها الأنا عن الآخر وفقا لمعايير محددة تنزع نحو موقف سلبي في غالب الأحيان، خاصة عند الذات العربية التي تتطبع في غالبيتها بفكر عداء آخر للأنا دائما والكيد لها والعمل على إسقاطها، وهذا مرتبط بالاستعمار أي بالماضي، هذه الخلفية تتحكم في تعاملنا مع هذا الآخر رغما عنه، فالمفاهيم السائدة في عالم اليوم، والتي تريد أن تفوض على الذات هيمنة أحادية في المجالات السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية، جعلت الأنا تلجأ إلى الإنغلاق في انتماء طائفي أو مذهبي أو قبلي أو ديني أو عرقي حتى تحمي نفسها وتحافظ على كيانها، ولئن كان ذلك تعبير عن حدود الذات، فإنه ساهم في تفريق الجهود وتشتيتها، ومن ثم بروز عوامل الضعف والفرقة والاختلاف، خاصة في ظل ما يعيشه عالم اليوم،

فالدول المسماة "قوية" يمكن تصنيفها إلى دول مستعمرة ما تزال ذاكرتها تعمل ترسبات الفكر الإستعماري، ولذلك فهي في غالب الأعم تتعامل بالإستعلاء مع الدول التي كانت تحتلها، من ذلك مثلا ان الضمير الجمعي الأوربي يحمل في طياته عداء شديدا وصريحا للشعوب الواقعة جنوب البحر الابيض المتوسط خاصة، وذلك راجع إلى ان الذاكرة الأوروبية لم تنس الإرث التاريخي منذ الإمبراطورية الرومانية مرورا بالأندلس ثم الدولة العثمانية وصولا إلى الإستعمار¹.

أما الصنف الآخر من الدول مصنفة في خانة الاقوياء فهي تلك الخاضعة للعلاقات الدولية التي تتحكم فيها المصالح والبراغماتية وما يصاحبها من مساومات وضغوط وتنازلات

1صوافي بوعلام، المرجع السابق، ص:33.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

وتناقض في المواقف بين الصداقة والعداوة بحسب المعطيات والمصالح، حيث لا عدو دائم ولا صديق دائم¹.

قام دانيال هنري باجو بحصر العلاقة بين طرفي الثنائية (الأنا/الآخر) حيث يقسمها إلى ثلاثة أنواع²:

-الميل والهوس (La Manie): وهي ما سماه مالك بن نبي بالقابلية، أي

إحساس الأنا بالضعف امام الآخر.

-الخوف والرهاب (La Phobie): أي خوف الآخر من تفوق الأنا.

-الحب (La Philie): المبني على الإحترام المتبادل بين الأنا والآخر.

1/5 علاقة ثنائية الأنا والآخر عند جون بول سارتر

الذات يستجلب الحديث عن الآخر، لذلك فالإرتباط بين الغير والذات وثيقة، كعلاقة ضربت في أعماق التاريخ البشري، فقبل سقراط كان اليونان لا يولون الإهتمام بالإنسان بل كان إهتمامهم يتمحور حول كل ما هو ديني ومسرحي، أمّا الإهتمام بالإنسان فقد ارتبط بسقراط إنطلاقاً من المقولة الشهيرة (اعرف نفسك بنفسك)، لكن الأجدر كان والأحرى به وقد قضى حياته محاوراً لغيره، أي يغير من تلك الحكمة لكي تصبح (اعرف نفسك بغيرك).

ومع أفلاطون تسامى الإنسان أو الفرد عن طريق ما يضمه لغيره، سواء الحب أو الكراهية أو الأنانية، وهذا الإضمار الذي يعكس حضور الغير دائماً، والذي صرح به أفلاطون، وكذا عن الرواقيين ومن بعدهم القديسين والفلاسفة والمفكرين ومنه المتأخرين وصولاً إلى سارتر وقبله الوجوديون كيركيغارد وجبرييل مارسيل، فمما ميز الفلسفة الوجودية

1 المرجع السابق، ص:33

2 المرجع السابق، ص:33-34

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

إحاحها المستمر والدائم بضرورة وجود الآخر، فالمفكر الذاتي على حد تعبيرهم لا يمكنه الحكم علي ذاته بل على غيره لان كلّ حكم معناه المقارنة فحكمك على نفسك يعني حكمك على غيرك.

لقد تطرق سارتر إلى قضية الغير على أثر الانتقادات التي قدمها لكل من هورسل هيغل وهيذرغر، ان مقولة سارت الأساسية هي (الموجود لأجل ذاته) أي الوعي، واول ما ميز الوعي هو الحرية، ويرى سارتر أن الموجود لأجل ذاته يحيل نوعين من الوجود فوجود الآخر يكشف عن النظرة الفينومينولوجية للشعور بالخجل. معناه أن الوعي يميزه الحرية.

يرى سارتر ان العلاقة بين الأنا والآخر ليست علاقة معرفة، وانما هي علاقة وجود ولا ينبغي ان اسعى لفهم وجودي ووجود الاخرين على انها موضوعات معرفة متبادلة، بل ينبغي ان أتوحد في وجودي، وأن اقيم مشكلة الآخر ابتداء من وجودي، أمّا الفلسفات التي تناولت العلاقة بين الأنا والآخر على انها علاقة معرفة مثلما تعرف المثالية والواقعية¹.

يصرح سارتر أن مسألة الآخر تطورت وتقدمت بإسهام كلّ من هوسرل وهيذرغر وهيجل، فهوسرل تقوم عنده العلاقة بين الأنا والآخر عن طريق العالم أي كما يتجلى للوعي هو علاقة داخلية بين المونادات أو الجواهر الفردانية، والآخر ليس حاضرا في العالم كظهور عيني أمبريقي فحسب، إن الآخر موجود هناك كطبقة من الدلالات المكونة للموضوع الذي اتفحصه².

إلا أن سارتر لا يرى هذه العلاقة كافية لإثبات وجود الآخر وتبقى مجرد احتمال لا أكثر.

1. مجلة لوغوس مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها. جامعة تلمسان/العدد 9 – 2018 > علاقة الأنا والآخر في

فلسفة جون بول سارتر <. د / حلوز جيلالي. ص 23

2 المرجع السابق، ص: 23.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

أما هيدغر فقد نظر إلى المسألة نظرة أنطولوجية، وهو ما يميز هيدغر عن غيره فهو لا يتناول العلاقة بين الأنا والآخر على أنها علاقة عقلانية، لا بل هي علاقة وجودية. إلا أن ما يأخذه سارتر على هيدغر هو أنه لم يبدأ من الكوجيتو ويعتبر ذلك إخفاقاً¹.

إن وجود الآخر ليس أنا طبعاً، ومنه يترتب عن ذلك ضرورة الوجود المؤكد للآخر كوجودي أنا. فالعلاقة بين الآخر والأنا، إذن هي علاقة إلتقاء لا علاقة تأسيس².

تأخذ العلاقة بين الأنا والآخر شكلين أساسيين إما ان تنكر الأنا حرية وسيطرة وسيادة الآخر على نفسه ويتحول بذلك إلى شيء يعتمد كلياً على الآخر، أو الإقرار بحرية الآخر على إعتبار أنها أساس حرته، فالأولى تؤدي إلى السادية أو التلذذ بتعذيب الآخر والسيطرة عليه، والثانية مفادها المازوخية. وهي التلذذ بسيطرة الآخر على الأنا والرضوخ له والخضوع التام. لذلك تبقى العلاقة بين الأنا والآخر تتراوح بين السادي والمازوشي في حركة دائرية وبالتالي تصبح علاقة الأنا بالآخر علاقة دائرية لا علاقة جدلية كما أقرها هيغل³.

2/5 علاقة ثنائية الأنا والآخر عند عبد الملك مرتاض

إن علاقة الأنا بالآخر جدلية قائمة مدى الحياة على مستوى جميع الحقول الفكرية والمعرفية، فعلاقة وجودهما إلزامية سواء أكانت علاقة تنافر أم تجاذب، فب الأنا يعرف الآخر وبالأخر نحاول فهم الأنا لدرجة انهم أضحنا (ذاتان منفصلتان متصلتان في الوقت نفسه مفترقتان ومتحدتان، فلا تكون الذات إلا بوجود الآخر وهذه بديهية (باستثناء الذات القدسية المطلقة ذات الإله). والأمر بمجمله يشبه صفحتي ورقة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر⁴، تجدر الإشارة إلى أن تأثير الآخر لا مناص منه فهو متداول وثابت على حد

1 حلوز جلال، المرجع السابق، ص: 24.

2 المرجع السابق، ص: 26.

3 المرجع السابق، ص: 27.

4قادة محمد، المرجع السابق، ص: 327.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

تعبير جون بول سارتر واستنادا إلى نظريته الفلسفية على أنه (ثابت أكيد في الجهة المعاكسة وكأنه لا مناص منه لا فلات من تأثيره، وكأنه لا مرد من وجوده)، يقول جون بول سارتر (واقع الآخر أكيد، ويصيني في الصميم، وهو يتحقق بشيء من الإمتعاض ولكنني به أجدني في حالة من الخطر، في كلّ حين)، لأن الأنا لا يمكن ان توجد إلا في إطار مع علاقتها مع الآخرين، مما دفع سارتر إلى الإعتقاد (أن الإنسان لا يكون شريرا أو خيرا أو حسودا إلا اذا أترف له الآخرون بذلك، ولكي أكون فكرة عن ذاتي لابد ان أمر عبر الآخر)¹ وفي هذا السياق يشير عبد الملك مرتاض إلى ان الآخر الذي تحدث عنه سارتر ليس هو الآخر الممثل للهوية المهددة بالتلاشي (فآخر سارتر لم يجاوز ما يقابل الذات في أدنى الدلالات على حين ان آخرنا الذي نريد هو ذلك المتوسع إلى كلّ منتجات الحضارة الغربية وثقافتها والحيلولة دون تطورها) وفي هذا المفهوم إشارة صريحة إلى تلكم التأثيرات الإستدمارية الشنيعة بمختلف اشكالها وحمولتها الفكرية والثقافية وما خلفته من الدمار الحضاري والفكري في المجتمعات العربية كون ان (قوة الطيار الغربي متغلغل في الجسد العربي مشخن بالهزائم والجراح) فلم تبقى ولم تذر بالعروبة خاصة منفذا أو مدخلا بغية ترميم هويتهم الاصلية².

موقف مرتاض من تلازم ثنائية الأنا والآخر:

يقف عبد الملك مرتاض موقفا ناقدا من العلاقة القائمة بين الأنا والآخر ومحللا في السياق نفسه ما ورد من استنتاجات حسن حنفي لا يعدو أن يكون كمن يدور في متاهة خبط عشوائي مستندا بذلك إلى مجموعة من الأسس والرؤى:

- أولها (أن الدورة الحضارية كما نظر لها ابن خلدون وغيره من المفكرين المغربيين فيما بعد، ليست نظرة مسلمة، فليس ضرورة ان يتأخر الآخر ويصاب بالشلل الفكري فلا

1 المرجع السابق ص 327

2 قادة محمد، المرجع السابق، ص: 327.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

يفكر ولا ينتج معرفة، إذا تقدم الأنا، وليس التقاطع الذي ذكر قدرا محتوما في هذا المسار الحضاري). ويزعم مرتاض ان هناك تقدم طردي للانا فإذا تقدم خطوة قفز الآخر عدة خطوات إلى الإمام في مسار الحضارة فتزداد المسافة بعدا¹.

- ثانيها إفتراض (حصول كارثة هائلة للآخر دون أن تصيب الأنا الأمن على نفسه وأهله وداره، فيحل محله، ولو حدث ذلك لتأخرت الحضارة قرونا إلى الوراء، لأن الأنا ليس متطورا حضاريا على العهد الراهن، وسيبتدئ مساره من الصفر في حالة تدمير حضارة الآخر)، وهذا بدوره يقضي إلى كارثة إنسانية عظيمة بالحضارة العالمية برمتها بحكم أن البشرية جمعاء قد تفيد من بعض تلك الحضارة الراهنة من نواح متباينة².

- ثالثها ما تفرضه الحقيقة القائلة أنّ (لآخر في مأمن من مثل هذه الكوارث لأنه اتّخذ جميع الإحتياطات الضرورية ليظل إلى الأبد، غالبا كما هو، وقويا مستعليا في الأرض كما هو. فافتراض إندلاع حرب نووية بين العمالقة مستبعد، ويجب أن يكونوا جميعا حمقى حتى يحدث ذلك، وفي غياب هذا الاحتمال الذي يمكن أن يفضي إلى تدمير الآخرين، فلا خوف على الآخر من أن تصيبها مصيبة مدمرة تنهي وجوده الحضاري باليسر الذي يراه بعض الناس، بل عليه أن يبشّر بطول سلامة) لأنه يسعى دائما إلى ضمان سلامته ووجوده وفرض سيطرته على المجتمعات الآخر من خلال الهيمنة المطلقة على الوسائل والآليات³.

- رابعها تتمثل في إستعمال العدد سبعة بالضبط كما وصفه مرتاض بالفلكلوري المعتقداتي وما وروده في تقرير نظرية حضارية إلّا دليل خرافيتها (فلم تكون هذه الدورات الحضارية قائمة على مدد السبعة القرون ولا تقوم على زمن خاضع للظروف التاريخية الكبيرة

1 المرجع السابق، ص: 328.

2 المرجع السابق، ص: 329.

3 المرجع السابق، ص: 329.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

التي يحتمل لها أن تقع في أي قرن، أو في أي دهر؟ ولم يقع كلّ هذا الإنتظار السبعي لكي تتغير الدورة الحضارية الكبرى بين الأنا والآخر أم استنتجت هذه السبعة الفلكلورية العجيبة من الحكايات الشعبية أم استنبطت من التاريخ أم استلهمت من وحي السماء؟) وفي هذه التساؤلات نظرة استغراب من جهة في تقييد الدورات الحضارية بالعدد من جهة ونظرة تهكّم واستهجان في تداول هذا المعتقد من جهة أخرى¹.

- خامسها فهو انتظار "الأنا" سقوط "الآخر" إلى أسفل السافلين كي يرقى هو إلى قمة الهرم ولكن (انتظاره حتما سيطول إلى مقدار الأبدية، لأن تطور الأمم لا يخضع لهذا المبدأ، بل الأمم العظيمة تنشأ وتنهض وتتطور في نفسها. بإمكاناتها ومقدّراتها الذاتية، وبجدّها وعملها وليس بانتظار مرور سبعة قرون على تقدّم الآخر لكي يقع ما يقع) وهيئات أن يقع فمثله كمثل سيرة أمي جاهل يتربح موت علامة فيحلّ محلّه ليملاً الأرض تخلفا وجهلا بسلوكاته وآرائه وعصبيته². وذلك لأنّ كل أنا هي عدو، وتريد أن تكون هي المسيطرة على الآخر.

ومن خلال ما سبق يمكن أن نقول أن العلاقة بين الأنا والآخر تبقى للواقع الراهن مختلا مهما حدث بالنظر للحال المزرية الذي لا يزيد ولا ينقص، وأكثر الناس يعرفون هذا على نحو أو على آخر، ويقتنعون أن الحوار بين ثقافة الأنا والآخر إن وقع لكان حوار الصم البكم العمي الذين لا يعقلون وهذا بسبب رفض الآخر للتنازل عن نظرتة الدونية للأنا فهو متغطرس بذاته المتباهية بالنرجسية والعلوية التي يرفضها المنطق العقلاني.

وفي ختام هذا الفصل نخلص إلى أن ثنائية "الأنا/الآخر"، قد تولدت عن صراع إمّا ديني أو سياسي أو ثقافي... مما أدى إلى وجود تنافر فيما بينهما، لكن هذا لا يمنع وجود عوامل تساهم في قبول أحد الطرفين للطرف الآخر، لأن المرء يولد بمفرده، ويموت بمفرده،

1.أ.د قادة محمد، المرجع السابق، ص: 329.

2 المرجع السابق، ص: 329.

الفصل الأول.....مدخل في الأنا والآخر

لكنه لا يستطيع أن يعيش في هذا العالم منعزلاً على الآخرين، لأن الأنا حين تحاول أن تشكل صورة الآخر، فهي تشكل صورة عنها أولاً والعكس أيضاً.

بالإضافة فإن هذه الثنائية قد وردت في الأديان السماوية (الإسلامية، اليهودية، ...) لكن الإسلام كان أكثر تسامحاً مع الأديان الأخرى، وأيضاً وردت هذه الثنائية عن طريق الكثير من علماء النفس، وعلماء الاجتماع، والفلاسفة كل من منظور مختلف.

الفصل الثاني

صورة الأنا والآخر في رواية مروان

تمهيد:

ظلّ النصّ العربيّ عمومًا، والرّوائيّ على وجه خاص، في رحلة طويلة لا تكاد تنتهي فصولها، مع تقلبات المناهج فما إنّ تستقرّ الآليات في تطبيقاتها، حتى تغير النصوص جلدها في أصلٍ منبتها، ال ان البحث عن الأنا داخلها مثل ومازال يمثل حالة ذات خصوصية عالية فالأنا والآخر كلاهما وجهان لعملة واحدة، إذ البحث عن الأنا بحث لا يتم بمعزل عن الآخر.

فالإنسان مهما حاول أن يتوقع على ذاته، تظل هناك نقاط داخله تتفاعل مع محيطه، فهو مثله مثل شجرة تمد بجذورها في العمق، وفي الوقت نفسه ترسل فروعها في الفضاء الرحب، فالإنسان ينطلق من الكون لا بمعزل عنه، فكل الموجودات لها من التأثير على الأنا تأثيرًا نعلمه وآخر نجهله، فما يحدث في الكون ولاسيما اليوم أكبر من أن يجد في أدمغتنا متسعًا ليستوعبه.

وحتى لا نسقط في بئر التثرثرة والحشو وهو ما لا يتناسب وطبيعة الدراسة التطبيقية نباشر الوقوف على الأنا والآخر في رواية مروان، ودراستها عمقا وسطحا، مُعتمدين في ذلك على التحليل الذاتي، المبني بعد القراءات للرواية وعلى المعارف والمكتسبات. وذلك من خلال العناصر التالية:

1/ ملخص رواية مروان

2/ تصورات الأنا في رواية مروان

1/2- الأنا والحنين إلى الطفولة

2/2- الأنا المتفائلة والاصطدام بالواقع المرير

3/2- الأنا المتشائمة

4/2- الأنا من المنظور الإسلامي

5/2- الأنا المنبهرة بالآخر

3/ مواقف الآخر في رواية مروان

1/3- الآخر المحب

2/3- الآخر المتعاون

3/3- الآخر العدو الجشع

4/3- الأنا المهاجرة

1/ ملخص رواية مروان:

يطرح محمد بن يحيى سفيان في روايته الأخيرة "مروان" ظاهرة المخدرات والمشاكل الاجتماعية المنجزة عنها عبر قصة استمدتها من واقع شاب جزائري قاداته المشاكل الاجتماعية إلى السقوط في فخ الإدمان.

رواية مروان هي رواية إجتماعية حقيقية لشاب جزائري من العاصمة، حسين داي بالتحديد. تدور أحداث القصة حول حياة الطالب الجامعي الجزائري على وجه الخصوص حيث تنطلق الرواية عند ما بلغ مروان سن الـ 18 سنة، كيفية دخوله الجامعة ومعاناته من الفقر والحرمان دفعته إلى العمل في كشك بعد نهاية الدوام إلى أن تخرج مروان من الجامعة، لتحدث عن مرحلة ما بعد التخرج من الجامعة وكيف عانى مروان من أجل البحث عن عمل للعيش، حتى بلغه ذات يوم إتصال من والده يخبره بفقدان أمه، بعد أن توسط له أحد الجيران وجد عملا في شركة ما، بأجر لا بأس به، كان يعيل والده المتقاعد الذي بدأ يفقد صحته شيئا فشيئا حتى أقعد في المستشفى وبعد صراع مع المرض ذهب إلى جوار ربه، وظل مروان وحيدا بدأ طريق المخدرات لينسى همومه التي كانت تزداد شيئا فشيئا، حتى جاءته ورقة طلب منه إخلاء المنزل بطلب من عمه الذي كسب معركته ضده في القضاء وأنصفه بسبب دين سابق لأبيه، ازدادت وتيرة مخدرات الابن وطرده من العمل وبقي بلا مأوى ولا عمل فاعتدى على عمه ودخل السجن.

2/ مواقف الأنا في رواية مروان

1/2- الأنا والحنين إلى الطفولة:

كثيرا ما نشعر برغبة شديدة في العودة إلى الماضي أو توقف الوقت عن المرور في مرحلة ما وذلك بسبب شعورنا بالإشتياق، أو الراحة في أماكن ومع أشخاص معينة، لكن كثيرا ما نشتاق إلى أيام الطفولة البريئة، إلى أصدقاء الزمن الجميل، والعلاقات الإجتماعية

الفصل الثاني.....صورة الأنا والآخر في رواية مروان

القوية، إلى بساطة الحياة وتفاصيل صغيرة، ربما الحنين إلى أنفسنا (شكلنا، ملامحنا، أعمارنا، أحلامنا التي طوتها الدفاتر).

وهكذا كان شعور مروان ونظرتة للماضي وطفولته، بقوله " أيام الطفولة التي كانت من أزهى أيام حياتي مع أولاد حومتي، يوما بعد يوم أكبر وتطلعاتي في الحياة تزداد ولكني كنت أقف عند اجرة والدي فهي لا تكفي لتحقيقها كله"¹، ربما يشعر الفرد بالحنين إلى طفولته لأنه لا يزال لا يستوعب ماذا يحصل وماذا ينتظر فيه، وأيضا لا يتحمل مسؤولية أي شيء، ومن جهة أخرى ربما يشترق لأشخاص أو أماكن معينة ذهبت ولن تعود.

رغم مشاغل الحياة ورغم البعد وكل الظروف لكن نعمة الأصدقاء لا تعوض، وربما هذه العلاقة الوطيدة هي التي تجعل الأنا تحن وتشترق إلى ماضيها، "رن هاتفي، كان صديقا من أيام البراءة، قال إنه إشتاق لتلك الأيام ويريد أن نلعب مباراة كرة القدم حيث سيجمع كلّ الفريق القديم، ورغم صعوبة الموضوع إلا أنهم اجتمعوا، حاولوا جميعهم أن لا يأتوا على ذكر والدي، وكان واضحا أنهم يريدون التحسين من حالتي النفسية فعلا أشكر لهم ذلك يبقى لصداقة الطفولة نكهة فريدة، لعبت هذا اللقاء بحرارة والكل يناديني روماريو كما كان عليه الحال قبل 15 سنة من قبل، كأن لا شيء تغير وكأننا لم نفترق، وفي ختام المباراة حاولوا جميعا مؤازرتي وأكدوا وقوفهم معي شعرت بقيمتهم وبدفء حل بقلبي، أصدقائي الذين باعدت بيننا المسافات والانشغالات"².

1 بن يحي محمد سفيان: رواية مروان "قصة واقعية"، ط 1، دار المثقف للنشر والتوزيع، باتنة، الجزائر، 2017، ص: 09.

2 رواية مروان، ص: 69.

2/2- الأنا المتفائلة والاصطدام بالواقع المرير

التفاؤل عبارة عن ميل أو نزوع نحو النظر إلى الجانب الأفضل للأحداث أو الأحوال، وتوقع النتائج، وهو وجهة نظر في الحياة والتي تبقى الشخص ينظر إلى العالم نظرة إيجابية، أو تبقى حالتهالشخصية إيجابية.

وقد اتصف مروان في مرحلة ما بالتفاؤل والرغبة في تحقيق أحلامه بكل عزم "فكنت ادرس وكلني عزم على ان اكون فخر والدي، ان اغير واقعنا للأحسن.... وانا تلميذ كنت من النخبة في صفي، فقط لان إرادتي كانت أكبر لتحقيق مسار دراسي ناجح والاهم كان إسعاد والداي اللذان تزامت الحياة على عتباتهما، ولم أكن ممن يخالط البنات لا اعرف حتى كيف أكلم الواحدة منهن، تدور برأسي فكرة واحدة "انا هنا للدراسة فقط"¹.

وسأجتاز نهاية هذي السنة امتحان مصيري في حياتي وفي حياة كلّ شاب جزائري، هي بمثابة بوابة الأمل لنا، نتخيل ان الجنة أو بعارة أكثر واقعية النعيم والرفاهية يكمنان في نتيجة "البكالوريا"، عاهدت نفسي ذات ليلة: "هذي سنة حياة أو موت والامر بيدي، نموت باه نسمع تزغريدة تع يما، يلزم نفرحهم هذا العام ونرفع راسهم".

"كان هذا الحوار التحفيزي يتكرر داخلي، كان دافعي كبير، من صبيحة اليوم التالي عقدت العزم على تحقيق حلمي، فرغم الظروف المادية الصعبة التي نعيشها والتي كانت سببا في عدم تمكني من شراء مختلف الكتب المساعدة إلا أنني كنت أستعيرها من زميلي في الصف وفي بعض الأحيان كنت أضطر للعمل في أيام الراحة كحمال في السوق لجمع ما يكفني من كراء كتاب أدرس به لبضع ساعات وأعيده لصاحبه بعد ان أنسخ ما أستطعت من صفحاته، مرت بي أيام عصبية، الضغط يكبلني من كلّ الجهات، على النجاح بأعلى

1المرجع السابق، ص: 09.

المعدلات وبالمقابل على العمل لتوفير الإمكانيات لا أستطيع تحقيق ذلك، ولم يتبق الكثير لهذا الإمتحان الفاصل في حياتي إلا أشهر قليلة....."¹

رغم الظروف التي يمر بها مروان إلا انه متفائل بأنه ربما يوما ما سيحقق حلمه وحلم والديه، لكن سيواجه الكثير من الصعاب والعقبات في طريقه، واشياء لم يكن يتوقعا يوما لتزداد عاما بعد عام لتهبط من عزيمته وتفاؤله.

3/2- نظرة الأنا لذاتها

يتبين لنا أنّ صورة "الأنا" أو "الذات" عبارة عن منظومة سيكولوجية إجتماعية تتحدد بطبيعة تطويرية كانت أو جماعات وتبناه وتنسبه إلى نفسها، ويتكون هذا النسق التصوري من مجموعة من الخصائص الفيزيائية والنفسية والاجتماعية، ومن عناصر ثقافية كالقيم والأهداف التي يعتقد الأفراد أنها تتم بها"²، ويعد البحث عن صورة "الأنا" سواء فردية كانت أم جماعية من أهم ما يعمق وعي "الذات" أو الأنا بذاتها وادراكها لعواملها الظاهرية والباطنية، وتحتوي على جميع المعارف والمعتقدات التي يملكها أو يستخدمها الناس لوصف تلك الشّخصيّة التي يحملونها".

حيث ينظر مروان لنفسه بالعجز ذلك بالسبب الظروف المعيشية التي يعيشها منذ أن فتحت عيناه في هذه الحياة " فتحت عيني لأول مرة على هذا العالم اللعين، كلّ شبر من هذه البقعة يحمل لي ذكرى، كان والدي يعمل بمصنع الحليب ليسد رمقنا وحاجياتنا من الحياة بالمقابل كانت أمي ربة البيت بسيطة فخمة في نفس الوقت، أمّا أنا فكنت وحيدهما³.

1 رواية مروان، المرجع نفسه، ص: 10.

2 عمرو عبد العلي علام، الأنا والآخر الشّخصيّة العربية والشّخصية الإسرائيلية، ص: 10.

3 المرجع نفسه، ص: 08.

يرى مروان بأن ظروف حياته قاسية جدا وعليه تغييرها إلى الأحسن بأي طريقة والخروج من هذه البقعة التي وعى عليها حيث أنه حاول بكل جهده " وفي بعض الاحيان كنت أضطر للعمل في أيام الراحة كحمال في السوق لجمع ما يكفني من كراء كتاب أدرس به لبضع ساعات واعيده لصاحبه بعد أن أنسخ ما أستطعت من صفحاته، مرت بي أيام عصبية، "كلّ ما يقوم به لذاته ولعائلته يتحمل ويتعب على أمل الوصول إلى هدفه¹.
تبين لنا من خلال مواقف مروان أن نظرتة لذاته كانت مليئة بالعجز التي قدرت عليه "حياة أخرى لا تشبه سابقتها، إزداد عدد سجائري اليومية بعد أن عزمت على التقليل منها أو إيقافها في وقت سابق"².

بالإضافة إلى نظرة العجز فمروان يرى لذاته باحتقار وإشمئزاز بسبب المجتمع، "ثم نظرة الإحتقار التي أكتسبتها من الناس لأنني أمشي بجيب فارغ، لا أملك، سوى حق الدخان وحتى مقهانا كنت آخذ قهاوي بالكريدي، لا نقود للغداء، ولا لعزيمة أحد حتى أكتسب أصدقاء، ولكن رغم ذلك مرت سنتي الأولى وتمكنت من الانتقال للثانية.. غدا يوافق عيد ميلادي التاسع عشر آه لحياتي اللعينة"³ إن هذه اللعنة التي يعيشها مروان تتجلى عند الكثير من الشباب في مجتمعنا ونظرة الإحتقار للذات تدفع الفرد بفقدان الثقة في النفس والتفكير بأنه علة على المجتمع لا أهمية من وجوده، وبالتالي هذا التفكير يؤدي بالفرد إلى الآفات الإجتماعية المختلفة التي تضر بذاته وتضر بالآخرين، هكذا كان شعور مروان. قائلا في نفسه: "ماذا استفادوا مني إذا؟ لا نفع مني، لا أفعل شيئا سوى أن أستفيق كلّ صباح وأحمل جسدي النحيل إلى المقهى المجاور لمنزلنا. نجلس نحن الثلاثة جنبا إلى جنب متقابلين ومتباعدين ... كلّ على حدا أنا وسيجارتتي والقهوة ... ثلاث أرواح متوازية ومتساوية في العدم ... قهوة تحتسى على مهل وسيجارة أمتص دخانها على عجل

1 المرجع السابق، ص: 10.

2 المرجع السابق، ص: 13.

3 المرجع السابق، ص: 13.

... وروحي الوحيدة بينها تقطف في الأرجاء أوراق الأمل ... كلانا ينظر للآخر ولسان حاله يقول ما هذا الهراء ... ما هذا الملل"¹.

4/2- الأنا المتشائمة:

التشاؤم حالة نفسية تقوم على اليأس والنظر إلى الأمور من الوجهة السيئة، والاعتقاد ان كل شيء يسير على غير ما يرام، فهي نزعة تشاؤمية فهي التي يغلب عليها التشاؤم، وفي الفلسفة والتصوف هناك مذهب يقول "ان الشر في العالم أكثر من الخير، وان الحياة الإنسانيّة هي سلسلة من الآلام الدائمة.

وقد تجلت كثير من مواقف تشاؤم الأنا ووصوله إلى حد اليأس من أوضاعه، "فأنا مجرد شاب فقير لا يمكنني أن أعيشه وأن أتحملة، الحب ليس لأمثالي الفقير يا صديقي كالسم في حياتك، سيحرمك من أبسط حقوقك، فكيف بأحلامك، الفقر صيرني شيخا في الوقت الذي من المفروض أنني في عمر الورود، لكنني أظن من وصف الشباب بذلك لم يعرف الفقراء يوما، لكان ساه عمر البصل، فنحن لا نجني من عيشه إلا الدموع"²،

أول ما فكر فيه مروان بمجرد شعوره بالحبّ والاعجاب جال في خاطره الفقر المرير الذي يعيشه، لأنّ علاقات الحب في كلّ مكان وكلّ زمان تتأثر بالمال والحسب "فالحب عندنا هو علاقات اقتصادية قبل ان تكون علاقة عاطفية، روحية أو قلبية يتم خلالها تبادل الرسائل بين الطرفين، تبادل الرسائل بين الطرفين، تبادل المشاعر وتقديم الهدايا، وان تكون على جاهزية كاملة للدعوات في أي وقت"³

معطف؟ لا أملك غير هذا يا صديقتي فعملي بالكاد يكفي أن يمر يومي بخير"، توجهت بخطى مثقلة لأدفع الثمن وتوجهت ياسمين للبس معطفها.. وصلت إلى العامل هناك، طلبت الفاتورة فكانت مثلما حسبتها: 650 دج. نعم هو كل ما في جيبي، أخرجت

1 رواية مروان، ص: 14.

2 المرجع السابق، ص: 23.

3 رواية مروان، ص: 18-19.

الفصل الثاني.....صورة الأنا والآخر في رواية مروان

وحتى دون أن أعد، ولكن وأنا أهم بالدفع أمسكت يدي، ثم قالت: أنا دعوتك إذا أنا سأدفع. حاولت أن أغير رأيها ولكنها بسرعة أخرجت ورقة بقيمة 1000 دج وقدمتها للنادل!!¹

"فأنا مجرد شاب فقير لا يمكنني أن أعيشه وأن أتحملة، الحب ليس لأمثالي الفقر يا صديقي كالسم في حياتك، سيحرمك من أبسط حقوقك، فكيف بأحلامك، الفقر صيرني شيخا في الوقت الذي من المفروض أنني في عمر الورود، لكنني أظن من وصف الشباب بذلك لم يعرف الفقراء يوما، لكان ساه عمر البصل، فنحن لا نجني من عيشه إلا الدموع"². ماذا نتظر من زمن أصبحت فيه حتى العلاقات العاطفية تقاس بالمال.

تشاؤم الأنا جعلها تستبق الاحداث وتتشاءم حول كلّ الأمور قبل حتى ان تحدث، لم يعاني مروان من الجانب العاطفي فقط، انما لم تستقر أوضاعه أيضا في الجانب العملي، "تواصل الأيام ويتواصل بحثي عن عمل بلا جدوى ولا امل، مرت سنتي الثانية بعد تخرجي ولا زلت بهذا الكشك الذي لا يليق بشهادتي، ولا يتماشى مدخوله مع طموحاتي المستقبلية، رؤيتي للمستقل كان يغطيها الضباب، غرقت في هموم الدنيا وتفكيري في كيفية مناسبة للحاق بياسمين ومساعدتي لأهلي، ضغوط القت بي عند باب المخدرات، أود أن أنسي كلّ شيء من الوجود"³.

بعد تلقي مروان لصدمات الواحدة تلو الأخرى جعلته لم يعد له أي رغبة في الحياة والكفاح مثلما كان في الماضي، "أيام كانت الأتعس، أظنني كنت صغيرا على كلّ هذه اللكمات، فقط ثلاثة وعشرون سنة، عدت مرة أخرى لأدخل دوامة الروتين القاتل، عمل، منزل، طبخ، تنظيف، ... بعدها أتصل بياسمين لتواصل دعمها لي، لكن للأسف لم يعد

1 المرجع السابق، ص: 22.

2 المرجع السابق، ص: 23.

3 رواية مروان، ص: 32.

دعمها يحرك شيئاً، الأحلام التي خططت لتحقيقها في حياتي رميتها في المزبلة لم تعد لي
رغبة في العيش أصلاً".¹

منذ الصغر ومروان شخصية تعاني من الأوضاع الاجتماعية المختلفة لكن الشيء
الذي زاد من قهرته موت أمه، الذي قتل كل أحاسيسه، "كنت اقاتل خاسراً وكأن هاجساً
في قلبي يقول حاول بتعاسة، فالتشاؤم استعمر حياتي كلها من البداية ليأتي موت امي
ويجعله يطغى".²

5/2- الأنا من المنظور الإسلامي:

الأنا من الجانب الإسلامي تعني مجموعة القيم والأصول التي يتصف بها الفرد في
شخصيته وتصرفاته، من عبادات وأفعال،

برغم من شخصية مروان المتذبذبة بين الحين والآخر، في حين أنه متمسك بقيمه
وأخلاقه لكن في لحظات الضعف يخطأ ولكنه دائماً على ثقة بالله " ثقتي ان الله لن
يخذلنا"³، ودائم الدعاء والتقرب له " كنت أدعو الله داخلي"⁴،

يتصف مروان بصفات الفرد المسلم فقد كان لا يسرق رغم فقره ولا يكذب، والأمر
الجيد علاقته الطيبة بوالديه ومعاملته لهم الجيدة حتى أنهم كانوا راضين عنه كل الرضا (الأنا
المتخلقة إتجاه الآخر).

"توجهت لمكان صلاتها وجلست، فتحت مصحفها الكبير لأنها كانت تعاني من
ضعف في النظر ورتلت قرآناً وكلمت ربي بحزن شاب في عمر الزهور فقد من لم أقل لها
يوماً أف ولم أنهرها، يا رب إنها ملكتي فارحمها.. يا رب إنها صليبي فأغفر لها.. يا رب
إنها من قال فيها رسولك إن جناتك تحت أقدامها فارزقها جنات خلدك واجمعني بها"⁵.

1 المرجع السابق، ص: 40.

2 رواية مروان، المرجع السابق، ص: 40.

3 رواية مروان، ص: 11.

4 المرجع السابق، ص: 16.

5 المرجع السابق، ص: 36.

والحمد لله باعث الصبر في قلوبنا، نحن لا ننسى ولكن الله ينزل سكينته وكأننا نفتنح أن أحببنا بين يديه ومن أحن منه عليهم، ندعوه طويلا حتى يغفر زلاتهم ويجمعنا بهم في جنات عرضها السماوات والأرض، "أصبحت أكثر حفاظا على صلاتي، ولا أنسى الدعاء في نفس الوقت، الدعاء لأمي ولي، أن يجعل الله أيامي القادمة أفضل".¹

6/2- الأنا المنبهة بالآخر:

يمكن تعريف الإنبهار أو الإعجاب بأنه شعور انجذاب (الأنا) ب (الآخر)، وهذا الشعور يجعل الأنا فضولية وترغب في التعرف على الآخر عن كثب والتقرب اليه، وهذا الإعجاب ينتهي إلى مفترق الطرق أمّا ان يتطور إلى حب واما ان تختفي مشاعر الأنا تجاه الآخر وتفقد الاهتمام به وتمحى اللهفة.

قد كان إعجاب مروان بياسمين ظاهرا في عينيه، "في هذه اللحظة نظرت إليها، وقد لاحظت عيونها الزرقاء، كانت جميلة ساحرة، أنفها المحمر من البرد، وشفتها ذات اللون الوردى، تهت في تفاصيلها، في بياضها الناصع، كانت فعلا ياسمينة تفتحت على غير عادة في الشتاء، وقتها شعرت بشيء ما يلعب داخلي، شيء لا أريده أن يكون هو"².

لكن الإعجاب ليس شعور متوقف وإنما يتطور ربما إلى حب وعشق وربما تمحى تلك النظرة، وبعد أيام ومواقف عديدة تطورت العلاقة بين الأنا والآخر "هنا بدأت قصة أخرى في هذا الوطن البائس، كانت مجرد قصة إعجاب تطورت حياتها بسرعة لأصبح بعدها شخص بحلم آخر غير المال وأصبحت مسافة الصداقة بيننا تتقارب يوما بعد آخر، وأصبحنا بالكاد نفترق، نمضي النهار بطوله سوية"³.

1 المرجع السابق، ص: 38.

2. رواية السابق، ص: 23.

3 المرجع السابق، ص: 26.

حديثي مع ياسمين تلك الليلة أشعرتني بأنني قريب منها، فبوحها لي بما تشعر من حزن جعلني افتح لها قلبي واسرد لها تفاصيل حياتي البائسة¹.

إنّ أصعب شعور ينتاب الإنسان هو ذلك الشعور الذي يلزمه عندما يغادره قريب لقلبه ويترك فراغا كبيرا في حياته، "ستذهبين بعيدا ولن أتمكن من رؤيتك مجددا، فأنا لا أملك تأشيرة ولا حتى المال للحاق بك، أتمنى أن لا تنسيني حبيبتي، أن أعلق دائما بذاكرتك. لن أنساك ما حييت، فأنت حياتي، سعادتي وهنائي، أنت قرة العين،"²

"هذا الاتصال أعاد إلى الروح، غادرت حبيبتني أرض الوطن ولا زالت تدعمني، بقيت أنا أوصل الكفاح والبحث عن فرصة عمل، كنا نتواصل على السكايب يوميا، كنت ما زلت أنام داخل الكشك المشؤوم.. ياسمين كانت تروي لي قصصا عن عاصمة الجن والملائكة قصصا كنت أسمعها منها لأول مرة كنت أموت شوقا ليأتي الليل لأقول لها: هاه ماذا فعلت اليوم؟ فتبدأ هي برواياتها التي لا تنتهي عن باريس ثم ننام أحيانا حتى في منتصف الكلام، لم أشعر ببعدها عني ولا للحظة"³

"كنت أحداث ياسمين بشكل يومي ورغم كلّ الظروف المزرية لم أحاول أن أنقطع عنها، حديثها كان يشعرتني بالطمأنينة ويبعث لي بالقليل من الأمل على الأقل أشعر أن أحدا يقاسمني أيامي، لم تتركني ولو للحظة كانت تحفزني على المضي قدما، عباراتها " اعمل سنتزوج ونأتي للاستقرار هنا " تجعلني أكافح أكثر من السابق فقد كانت حزينة على حالي"⁴.

1المرجع السابق، ص: 27.

2رواية مروان، ص: 30.

3. المرجع السابق، ص 31.

4. المرجع السابق، ص: 78.

3/ مواقف الآخر في رواية مروان

1/3- الآخر المحب

ترتبط الأنا بالآخر بعلاقات مختلفة ومن أسمى هذه العلاقات هي الحب، حيث يعتبر هذا الأخير مشاعر صادقة تنبع من داخل القلب ثم تميل هذه المشاعر إلى الشخص الآخر، يعتبر الحب من أنقى المشاعر التي تعتبر ذات حساسية، ورقة، يقوم الشخصان المحبان بالتعاون مع بعضهما، ومشاركة الأماكن، والهوايات المفضلة لديهم مع بعضهما، كما يحاولان أيضا بان يفعلا كل ما بوسعهما لإسعاد الطرف الآخر.

وكل هذه المظاهر تجلت في رواية مروان، محبة الآخر (ياسمين) للأنا (مروان)، وذلك من مختلف المواقف التي حدثت بينهم وكانت أولها حين شعرت ياسمين بالألم والوحدة أول شخص خطر ببالها هو مروان لأنه يرتاح لها قلبها، "لا أدري، أريد فقط ان أحدثك، أشعر بضيق وأنت أول من خطر ببالي".¹

لا يستطيع الآخر العيش بمعزله عن المجتمع ومن أهم العلاقات والأحاسيس التي يعيشها هي علاقة الحب حب الآخر الأنا أو حب الأنا للآخر، فياسمين كانت مشاعرها صادقة فكل تلك المشاعر التي تحملها إتجاه مروان قامت بالبوح بها واعترفت بحبها له "أحبك واريدك بجانبني لا يهمني من تكون، غنيا أو فقيرا معدما، فأنت بالنسبة لي شخص مختلف، صمتك غموضك صدقك وشخصيتك كلها جذابة بالنسبة لي".²

1. رواية مروان، ص: 26.

2 المرجع نفسه، ص: 28.

رغم كلّ هذا الحب والتقارب لكن يحصل للفرد ظروف تجعله يتخذ مواقف مؤلمة وصعبة، "كيف أنساك بالله عليك، سأذهب لأكمل دراستي سأجد عملا ومن ثم أعود إلى هنا لتتزوج"¹

إنّ الحبّ الذي يربط الآخر بالأنا كان قويا ولم يتأثر بالبعد والمسافات، فأول شيء قامت به ياسمين الاتصال بمروان للإطمئنان عليه، "صباح الخير حبيبي، اعتذر لم أتمكن من الاتصال بك أمس، وصلت مرهقة اشتقت لك حبيبي ... تركتها تتكلم فقد اشتقت لصوتها، وكلمة حبيبي من فمها، استمعت لها حتى إنتهت إشتقت لك أيضا، هل وصلتني بخير؟ نعم الحمد لله أنا الآن متجهة لأنهي بعض الأمور في الجامعة وسأحدثك في المساء، اعتني بنفسك، إلى اللقاء"²

أهم شيء في الحب مثلما قالوا "الحب أفعال وليس أقوال" ما فعله الآخر إتجاه الأنا من مساندة ودعم وتقديم النصح ومحاولة تخفيف آلامه، "أصبر حبيبي أصبر لا تبكي فأنت رجل، أنت قوي لا طالما كنت صامدا لا تهزه الصدمات، أنا هنا وسأكون دائما بقربك"³

2/3-الآخر المتعاون:

منذ القدم تقوم العلاقات الإنسانية على التعاون ومساعدة الافراد لبعضهم البعض، فلا يمكن أن يلبي الفرد إحتياجاته كلها بمفرده، فالأنا تحتاج الآخر، والآخر يحتاج الأنا. رواية مروان رواية عالجت قضية اجتماعية لذا نجد فيها كثيرا من مواقف التعاون من جيران أو أصدقاء أو اشخاص نصادفهم في حياتنا اليومية، بعد تعرض الأنا لكثير من

1 رواية مروان، ص: 30.

2المصدر السابق ص: 31.

3المصدر السابق، ص: 38.

الفصل الثاني.....صورة الأنا والآخر في رواية مروان

المواقف والصدمات وبقائه لوحده، وجد الآخر متمسك به ويساعده في الوقوف على رجليه وتقديم له كل ما بوسعه من اجل التخفيف عليه.

بعد وفاة والدة مروان وإصابة والده بشلل وإنشغاله في عمله، وجد يد المساعدة من جارتة مليكة، "إنها إحدى الجارات إنسانة خلوقة جدا شخصا إنسانيا فوق العادة، فقد تحملت الاعتناء بأبي لخمسة أشهر كاملة"¹.

وقت اخبرتني الطيبية بمرض ابي لم أتحمل وبكيت على حالي فقد كتب لي نصيب فقدان أحبائي واحدا تلو الآخر فقد كانت الطيبية زينب تواسيني بقولها "أنا هنا سأكون عائلتك بني أعذك، من قويا ولن أتركك أبدا ... عليك أن تكون قويا أمامه لا تخبره بشيء ووكل أمرك لله سأساعدك في رعايته وسأعمل على أن تمنح له غرفة خاصة لوحده، مع فراش لك وسأطهو له أنا رفقة بناتي حتى ارفع عنك بعض الثقل لن تكون وحدك نحن هنا"².

كلام جميل الذي قالته الطيبية لقد أبدت موقفها تجاه حالة مروان المثيرة للشفقة لمساندته والوقوف بجانبه في محنته.

بعد طرد مروان من منزله وأصبح دون مأوى طلب المساعدة من مدير الشركة التي يعمل فيها، وقد أجاب لطلبه، "توجهت ذات يوم إلى مدير المؤسسة الخاصة التي أعمل فيها وحكيت له مأساتي تضامن معي ولم يجد حلا سوى انه اقترح على العمل كحارس ليلي بالإضافة لعملي في الصباح هكذا أجر إضافي ومأوى، فقبلت ومنحني شهريا بين العاملين أجرة خمسة وخمسون ألف دينار جزائري (خمس ملايين ونصف سنتيم)"³.

1رواية مروان، ص: 42.

2. المصدر السابق، ص: 46.

3. المصدر السابق، ص: 79.

.. نعم لقد تمت محاكمتي بدون معرفة حياتي ولا ظروفي ... في هذه الأثناء طلب مني القاضي قص الحقيقة فقلت الحقيقة لم أكن أتكلم بل كنت أفرغ كل شيء دافعي وراء جريمتي. حدثه عما حدث لي وما عشته أتذكر أن الصمت عم أرجاء القاعة وأنا أحكي للدولة معاناتي، لم يتكلم أحد لا القاضي ولا المحامي ولا النائب العام كنت اسمع من حين إلى حين كنت أروي مأساة إنسانية في معقل العدالة ممن يريدون كتم دموعهم التي لن تعدل أبداً، لم يتمكن أحد من البوح بكلمة واحدة وقف الجميع مذهولين من قصتي، قد تبدو بأنها قصة خيالية لكن عشتها بأدق تفاصيلها. نزع القاضي نظراته وأمسك رأسه ولم يقطع كلمتي بلي سمعني إلى آخر حرف، وكأن بدموعي تطلب الرأفة والغفران من سيادته. قلت بحسرة: سيدي القاضي حياتي كانت مجرد كابوس انتهى اليوم بين قضبان مؤسستكم الموقرة.. سيادة القاضي هذه قصتي.. أنا لست مجرماً أنا فقط طلبت الحياة بالموت فلم أحيا ولم أمت ... سيادة القاضي لن أكلفك ما لا طاقة لك به، ولا أطلب رحمتك فرحمة الله وسعت كل شيء ... سيادة القاضي أحكم بكتابك، بقانونك فلم أعد أحس بشيء اليوم فقدت الإحساس والإدراك بعد معاناتي هذه. بعد المداولات، صدر الحكم في حقي بظروف تخفيف مراعاة لحالتي اتفق عليها القاضي ومساعدته وكان الحكم 6 أشهر سجن نافذة. مع الأمر بمرافقة طبيب نفسي لحالتي في السجن،¹ لقد استنجدت دموع الأنا الآخر لمساعدته والوقوف بجانبه، واستجاب الآخر لهذه الدموع بدافع الإنسانية والعدالة.

تبدو الشخصية متزنة إلى حد ما، فهو مسلم أمره لله فيخاطب القاضي باستخدام تناص مع القرآن في قوله تعالى: "...قَالَ عَدَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ" الأعراف، الآية 156.

1رواية مروان، ص: 88.

بعدهما فقد الأنا الأمل في الحياة والاستمرار ظهر الآخر يبحث عنه لمساعدته إخراجهم من ظلمات اليأس والضياع، حتى ناداني حارس السجن: مروان لديك زيارة هيا انهض لم أصدق ما قاله الحارس، تفاجأت زيارة؟ من يكون هذا؟ فأنا لا أملك أحدا في هذه الدنيا اللعينة، اندثرت فجأة والسيدة زينب تبكي لحالي وأمسكت يدي، ربما لم أعط للسيدة زينب نصيبا كبيرا في كتاباتي لقد كانت هذه السيدة إنسانة بمشاعر طيبة رائعة تكافح المرض ليحيا الناس وتكافح حتى آلام القلب والروح ... شعرت بسعادة جارفة تغمرني ... سعادة غابت عني منذ سنوات حتى أنها رسمت على وجهي ابتسامة طويلة طال غيابها.. ظلت ممسكة بيدي وهي تبكي كانت تحدثني بحزن شديد ظهر جليا في نبرة صوتها وعيناها شعرت بدفء في صوتها ... دفء أُمِّي التي فارقتني كلماتها الطيبة مروان عندما تخرج سأتي إليك، وسأخذك لمنزلي وسارعك معي وأتكفل بك، أريدك أن تكمل دراستك لمستوى أكبر وسأجد لك حلا رفقة عمك إبراهيم (زوجها) الذي كان يعمل بمنصب رفيع. كل ما استطعت قوله هو: شكرا سيدتي.. ثم أتى الحارس معلنا نهاية الزيارة، انصرف كل منا على أن يكون الموعد القادم وأنا متمتع بحريتي، قادني الحارس إلى زنزاني التي كبتت حريتي وأنا أتذكر حديثها الذي أشعرتني براحة وسعادة كبيرة، بدأ بصيص الأمل يلوح في الأفق..

لم يختلئ الآخر عن الأنا حتى وفي بوعده وقدم له المساعدة ويد العون، هكذا كانت الطيبة زينب وعائلتها يحملون في قلبهم الكثير من الصفات النادرة في وقتنا الحالي، تستغرب حين يقهرك من هو اليك قريب ويفرحك من هو غريب، "اه أخيرا أنا حر، لمحت السيدة زينب وعمي إبراهيم قادمين باتجاهي، كانا في انتظاري هنأني بالخروج ثم أخذاني إلى منزلها.. استقبلني أولادهما بحفاوة كبيرة، شعرت ذلك اليوم بشعور عائلة غاب عني لمدة طويلة منذ فراق والداي"¹ ...

3/3-الآخر العدو الجشع:

العدو مصطلح نسبي يستخدم لوصف كينونة تمثل خطراً أو تتصف بأفكار مضادة فكلمة العدو تمثل نموذجاً خاصاً "للاخر" فكل عدو هو "اخر" لكن ليس كل "اخر" عدو. ويعرف الجشع بأنه واحد من الخطايا السبع المميتة، ويمكن وصفه بأنه حاجة مستمرة لا يمكن كبها للحصول على ممتلكات، خاصة تلك ذات الطبيعة المادية¹.

"الى السيد مروان نبلغ حضرتكم بوجوب الحضور إلى الجلسة رقم ... في قضية منزلك العائلي الكائن بحسين داي والمؤسس في قضيتك السيد محمود ... " محمود أنه عمي !!!²

هناك وثائق يملكها هذا الرجل تثبت أن هذا المنزل ملكه وفق رهن قدمه والدك قديماً لدفع في مشروع اقترض ماله من عمك ولم يسدده، وبما أنه توفي فعليك أن تسديد مبلغ 460 أو تقبل ستخسر المنزل لصالح عمك³.

ظهور الآخر في حياة الأنا بصفة عدوانية وحشية لا لمواساته أو مساندته بل لاستغلال ضعفه والسيطرة عليه، عندما كان مروان يعاني ويتخبط للخروج من أزمته النفسية ومن وحدته، ظهر الطرف الآخر عمه ليكمل تدمير ما تبقى منه، غريب ما يعيشه المجتمع كيف استطاع هذا "الاخر" ان يكون بهذه القسوة، كيف لم تتحرك أي مشاعر الإنسانية اتجاه ابن أخيه الوحيد؟

تحدثت مع عمي في رواق المحكمة وحاولت إقناعه بأن في الأمر خطأ ولكنه قال: "يمكنك التأكد بنفسك من هذا الأمر أمام هيئة المحكمة فكل الوثائق هناك تظهر الحقيقة"⁴.

1الجشع في قاموس العرب، <https://www.ar.facts-news.org> ، 2022/05/25 ، 10:30.

2رواية مروان، المرجع السابق، ص: 70.

3المصدر السابق، ص: 73.

4المصدر السابق، ص: 73.

- ولكن عمي أنا إلى أين سأذهب؟

- أجبني بكل فوقية وبرودة: ما يهمني هم أبنائي وحقي، والدك اقترض مالا مني وكان عليه تسديده ولم يفعل¹.

لم يجد مروان الرحمة في قلب عمه ولم يتحرك فيه أي شعور بالشفقة اتجاه حالته فقد الأمل وجمع ما يحتاج من أشياء أو ذكريات لتبقى معه، "سأحمل معي حقيبتني الصغيرة وذكرياتي الكثيرة ... سأحملكما معي اينما ذهبت ولم أترككما في هذا المنزل. بقي لي خمس عشر يوما فقط هنا، خمسة عشر يوما لألصق كل شيء هنا بروحي". انتظرت إلى أن يأتي عمي لإخراجي من المنزل.

في اليوم الموالي استيقظت على اتصال من عمي، تعكر مزاجي مع مطلع الصبح.. ماذا يريد مني أيضا بعدما رمى بي إلى الشارع؟ - نعم ماذا تريد؟

"لقد وجدت المنزل في حلة كارثية ويلزمني عشرون مليون لإعادة طلاءه وفرشه من جديد وعليك أن تدفعها لي حالا. - هل جنت؟ من أين لي بهذا المبلغ فأنا أنام في الشركة التي أعمل فيها ...؟ لم أتمالك نفسي من الغضب وبكيت ... نعم بكيت من الحسرة حتى جف الدمع في عينا، أين المفر؟"² لماذا كل هذا الحقد لماذا الآخر جشعا هكذا إلا يوجد في قلبه الرحمة؟ الم يكفي انه اخذ منه منزله وذكرياته وتركه ينام في الشارع يريد المزيد انه يتصف بالطمع والوقاحة.

تناولت المخدرات تلك الليلة واللييلة التي بعدها والتي بعدها، كلمات عمي دفعتني لتناول كل مخدر أجده أمامي. هذا الباب كان أمرا حتميا سأمر به يوماً.. المخدرات كانت تنسيني همومي وأوجاعي ولم أذهب لموعد السيدة زينب ولم أتكلم مع ياسمين رغم كثرة

1المصدر السابق، ص: 73.

2المرجع السابق، 81.

اتصالاتها بي، بعد هذه الأيام الثلاثة ذهبت إلى السيدة زينب واعتذرت منها بعد أن رويت لها بعضاً مما أعيشه من ألم بعد فراق والدي وما فعله بي عمي¹.

جلست انتظر عمي لأنهي هذا الموضوع من جذوره وبمجرد أن لمحته في الزقاق قادماً، توجهت نحوه ببطء هذا أنت، هل جلبت المال؟ يتغير.. وتمنيت أن يتغير ولم يقل هذا، لو فقط سأل عن حالي استخرجت سكيناً من جيبي وطعنته ويوم مات أبي ويوم خسرت منزلي ويوم فارقتني حبيبتني وطعنته ثانية.. طعنة طعنت بها يوم توفيت أمي ليسقط أرضاً وأسقط فوقه وابناء حيي ينزعون الخنجر من يدي بقوة بل ويضربونني لأن الطعنة الثالثة كانت موجهة لوجهه²..

رغم قساوة الآخر إلا ان الأنا كانت لديها الأمل في تغييره للأحسن وربما إعتذاره، لكن ما نراه أن شخصية الآخر عدوانية جشعة لا يستحق إلا الشر.

4/3- الأنا المهاجرة:

يعرف الشخص المهاجر هو الذي يذهب من دولة إلى دولة بعيدة كانت أو قريبة ربما يشتركان في العدد أو يختلفان وذلك لأسباب ذاتية أو موضوعية لم يتبق لمروان حلّ آخر سوى الابتعاد عن حيّه كلّ بعدما فقد والديه وفقد منزل ذكرياته، ماذا تملك "الأنا" من دون الذكريات؟ إن الإنسان يستطيع إكمال حياته والاستمرار فيها فقط عندما يتقوى بالذكريات، فمروان حين فقد منزله لم يستطع البقاء في نفس الحي ليتعذب أكثر. "كلهم طلبوا مني المبيت بل العيش بمنزلهم ولكن كنت قد قررت هجرة الحي نهائياً وأخذ ذكرياتي معي... ذكريات شاب اتعبته الحياة كثيراً مات وهو حي، إنّ الله معي وسيبقى معي.. حملت حقيبتني إلى أين؟ لا أدري.. وجدت نفسي في الشارع بعد سنوات وسنوات بمنزل دافئ أمي وحنانة أبي، وجدت نفسي في الشارع الذي

1رواية مروان، المرجع السابق، ص:81.

2رواية مروان، ص: 83-84.

لن يرحم طبييتي.. وحدتي زادنتي قهرا وبين أزقة العاصمة كنت كل مساء أبحث عن مأوى تارة أنام في حمام وتارة في مخبزة يعمل بها صديق وتارة في كشك الصديق الذي عملت عنده في أيام الجامعة"¹.

نعم فقد مروان منزله بعد فقدان والديه لكنه شعر أيضا عند خروجه من الحي بأنه فقد منزله الثاني وهو جيرانه وأصدقاء الطفولة وكل ما يتعلق بالحي.

الأنا تهاجر لكنّها تتألم وتتحوّر على فقدان الأحاب، من طبع الأنا لا تريد إظهار ضعفها للآخر أو الآخرين، لذا نجد أنّ مروان "سرت بخطوات متسارعة لأخرج من حي لا أريد أن يرى أحد دموعي تنهمر تألمت كثيرا لمغادرة عائلتي الثانية هناك،"

تتغير الأحوال من حال إلى حال، كذلك تغيرت حال الأنا بعد تلك المعاناة استطاعت بعد طول الجهاد أن ترى بصيص الأمل يعود من جديد إلى نفسها الميته. هكذا حال مروان بعدما فقد الأمل وعند خروجه من السجن تغيرت حاله كثيرا إلى الأحسن لكن لم يستطع أن يكمل باقي حياته داخل الوطن، وطن ليس له فيه أحد يقربه، لذا بدأ يفكر في الذهاب والابتعاد، يقول: "بدأت بعد أيام تدور برأسي فكرة مغادرة الوطن مغادرة وطن كان معقلا لأحزاني.. ولا فرصة أمامي إلا دراستي وسأحاول بمساعدة السيدة زينب الهجرة، أقول هجرة لأنني لا أفكر أبدا في العودة إن استطعت الخروج من حدود الجزائر"².

" قبل يومين من مغادرتي النهائية لأرض الوطن بغرض إتمام دراستي العليا بفرنسا ظاهريا والهرب من واقعي هنا باطنيا، اتجهت إلى حيي بحسين داي لألقي النظرة الأخيرة عليه، وأودع المكان الذي ترعرعت فيه، والبيت الذي رسم أحلى أيام حياتي رفقة عائلتي"³.

1رواية مروان، ص: 77-78.

2رواية مروان، ص: 97.

3 المصدر السابق، ص: 97.

الفصل الثاني.....صورة الأنا والآخر في رواية مروان

لقد هرب مروان وتجرد من كل تلك الذكريات التي تجتاح أفكاره وكيانه، بقوله " لم أعد أملك ما يربطني. بهذه الأرض إلا الألم والذكريات السيئة"¹.

تظهر لنا رواية "مروان" تعدد الأنا والآخر فلا وجود "الأنا" بدون "الآخر" ولا "آخر" بدون "أنا" فهما يكملان بعضهما البعض وهما وجهان لعملة واحدة.

1 المصدر السابق، ص: 97.

إن التصدي لموضوع الأنا والآخر أمر معقد للغاية لا يمكن الادعاء بالقول أو الفعل فيه نظرا لشساعته واختلاف النظر حوله، فتعددت الآراء والأفكار بين الفلاسفة والمفكرين في تحديد مصطلح واحد للأنا والآخر، وان ثنائية "الأنا" و "الآخر" علاقة تلازمية، اذ لا يستغني أحدهما عن الآخر، على الرغم من التناقض الحاصل بينهما. فبعد التقصي والبحث في رواية مروان، والتي بطبعها رواية اجتماعية بالدرجة الأولى وقد تجلت الرواية فيها مواقف كثيرة للأنا والآخر، وفي الأخير نخلص إلى جملة من النتائج النهائية، والتي نعرضها وفق الآتي:

- ثمة علاقة بين الأنا والآخر لا يمكن تجاهلها، لأننا لا يمكن أن نتعرف على ذواتنا إلا من خلال الآخر.
- يمثل بطل الرواية "مروان" نسخة عن شباب المجتمع من حيث الظروف المزرية التي يعيشها خلال مراحل حياته المختلفة (طفولة، مراهقة، شباب ...)
- اتخذت الأنا والآخر مواقف مختلفة في رواية مروان منها السلبي ومنها الإيجابي.
- تختلف علاقة الارتباط بين الأنا والآخر من حب وتعاون إلى عداوة وحقد.
- في هذه الرواية يثبت لنا الكاتب أن الآخر ليس دائما عدو وإنما أثبت لنا أن الآخر محب ومتعاون في العلاقات الاجتماعية بينه وبين الأنا.
- إن ظاهرة الفقر التي عانى منها البطل (مروان) التي جعلته يتخذ طريقا إلى الهاوية حيث يتعاطى السموم والمخدرات.
- أظهرت لنا الرواية وجهين لصورة الآخر؛ يتمثل الأول في الآخر المحب المعاون الذي يتحلى بالصفات الإنسانية؛ أما الوجه الثاني فيتمثل في الآخر العدو الجشع الذي لا توجد في قلبه رحمة أو شفقة.

هدفت هذه الدراسة إلى إظهار كيف تجسّدت الأنا والآخر في رواية مروان، التي عالجت مواضيع مختلفة منها الاجتماعية والعاطفية... وأيضاً إلى معرفة صورة الأنا والآخر وأهمّ المواقف التي ظهرت فيها، كما هدفت الدراسة إلى إظهار نظرة الأنا لذاتها وللآخر، وقد توصلت الدراسة إلى أنه ثمة علاقة بين الأنا والآخر لا يمكن تجاهلها لأنه لا يمكن للأنا أن تتعرف على ذاتها دون الآخر.

Abstract

This study aimed to show how the ego and the other were embodied in Marwan's novel, which dealt with various topics, including social, emotional... and also to know the image of the ego and the other and the most important situations in which they appeared,

The study also aimed to show the ego's view of itself and the other, and it concluded that there is a relationship between the ego and the other that cannot be ignored because the ego cannot recognize itself without the other.

قائمة المراجع

القران الكريم: برواية ورش عن نافع

المصادر:

بن يحيى محمد سفيان: مروان

الكتب:

1. ابراهيم مذكور، المعجم الفلسفي، مجمع اللغة، الهيئة العامة لشؤون المطابع الاميرية، القاهرة، مصر، 1983م.
2. ابن منظور: لسان العرب، مجموعة 1، دار الجيل، دار لسان العرب، لبنان، د ط، 1988م.
3. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1986.
4. السيد عمر: الأنا والآخر من منظور قراني، التأصيل النظري للدراسات الحضارية، دار الفكر، افاق معرفة متجددة، سنة 1957م.
5. رقية العلواني واخرون، مفهوم الآخر في اليهودية والمسيحية، التأصيل النظري للدراسات الحضارية، دار الفكر، دمشق، 2008م.
6. سيغmond فرويد، الأنا والهو، تر: محمد عثمان نجاتي، دار الشروق، عمان، ط4
7. الطاهر لبيب، صورة الآخر العربي ناظرا ومنظورا اليه، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، أغسطس 1999م.
8. طوني بينيت واخرون، تر: سعيد الغالمي، مفاتيح اصطلاحية جديدة معجم مصطلحات الثقافة والمجتمع، الطبعة 1، بيروت، 2010.
9. عفيف عبد الحافظ الغيمات، اوربا تعتنق الاسلام، دار جليس الزمان، عمان، ط1، 2016.
10. عمرو عبد العلي علام: الأنا والآخر والشخصية العربية والشخصية الاسرائيلية في الفكر الاسرائيلي المعاصر، دار العلوم للنشر والتوزيع والمعلومات، ط1، 2005م
11. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007م
12. معجم اللغة العربية، المعجم الوسيط، جمهورية مصر العربية، الإدارة العامة للمعجمات واحياء التراث، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط4، 2005م

المجالات والمقالات:

1. قادة محمد: الحوار الثقافي بين نحن والآخر من منظور عبد الملك مرتاض، المجلد 16، العدد 02، جامعة عبد الحميد بن باديس، مستغانم، الجزائر، سبتمبر 2020م
2. حاتم زيدان والعيد جلولي، جمالية المراوغة والتوظيف الضمائي لانا والآخر عبر اللغة الشعرية دراسة في قصائد مختارة، من ديوان مسقط قلبي لسمية محنش، مجلة الأثر، العدد 29/ ديسمبر 2017، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر

قائمة المراجع

3. حسن شحاتة، الذات والآخر في الشرق والغرب صور ودلالات واشكاليات، منتدى سور الازبكية، دار العالم العربي
4. حلوز جيلالي، علاقة الأنا والآخر في فلسفة جون بول سارتر، مخبر الفينومينولوجيا وتطبيقاتها، مجلة لوغوس، العدد 09-2018

المذكرات والاطروحات:

1. بوحلايس سلاف، صورة الأنا والآخر في شعر مصطفى محمد الغماري، مخطوط الماجستير، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2018-2019م.
2. رشا عبد الحسن عبد العظيم، الذات والآخر في شعر عبد الوهاب البياتي، رسالة ماجستير في اللغة وأدائها، جامعة القادسية، جمهورية العراق، 2013،
3. سعد سامي محمد، الأنا والآخر في المعلقات العشر، رسالة ماجستير في الأدب العربي، جامعة البصرة، 2012.
4. صوافي بوعلام، محددات الأنا والآخر في المتن الروائي الجديد، أطروحة جامعية مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في الأدب العربي، جامعة وهران 1 أحمد بن بلة، سنة 2015.
5. عبد العزيز حنان: نمط التفكير وعلاقته بتقدير الذات، مخطوط ماجستير قسم العلوم الاجتماعية شعبة علم النفس، تخصص الارشاد النفسي والتنمية البشرية، بوشلاعم يحي جامعة بوبكر بلقايد، تلمسان، 2011-2012م.
6. مازية حاج علي: الهوية وسرد الآخر في روايات غسان كنفاني، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في الأدب واللغة العربية، ادب عربي حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة.

المواقع الالكترونية:

<https://www.un.org>

قائمة المحتويات

الصفحة	المحتويات
/	البسمة
/	الشكر والتقدير
/	الإهداء
أ- هـ	I المقدمة
	II الفصل الأول: مدخل في الأنا والآخر
02	تمهيد
03	1/ مفهوم الأنا.
03	1/1- الأنا لغة.
03	1/2- الأنا اصطلاحا.
05	1/3- الأنا في المفاهيم النفسية والفلسفية والاجتماعية.
11	1/4- الأنا في الديانات السماوية.
14	2/ مفهوم الآخر.
14	2/1- الآخر لغة.
15	2/2- الآخر اصطلاحا.
16	2/3- الآخر في المفاهيم النفسية والفلسفية.
18	2/4- الآخر في الديانات السماوية.

قائمة المحتويات

21	3/ الذات والآخر في الدراسات الأدبية والفنية.
24	4/ محددات علاقة الأنا والآخر في الرواية الجزائرية.
30	5/ علاقة ثنائية الأنا والآخر.
34	1/5- علاقة ثنائية الأنا والآخر عند جون بول سارتر.
36	2/5- علاقة ثنائية الأنا والآخر عند عبد الملك مرتاض.
40	خلاصة
53	III الفصل الثاني: صورة الأنا والآخر في رواية مروان
43	تمهيد
45	1/ ملخص رواية مروان
46	2/ موقف الأنا في رواية مروان
46	1/2- الأنا والحنين إلى الطفولة
47	2/2- الأنا المتفائلة والاصطدام بالواقع المرير
48	3/2- الأنا المتشائمة
50	4/2- الأنا من المنظور الإسلامي
53	5/2- الأنا المنبهرة بالآخر
54	3/ مواقف الآخر في رواية مروان
56	1/3- الآخر المحب

قائمة المحتويات

57	2/3- الآخر المتعاون
61	3/3- الآخر العدو الجشع
64	4/3- الأنا المهاجرة
66	خاتمة
67	ملخص
68	قائمة المراجع